الجمهورية الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ
جامعة أبي بكر بلقايد
قسم اللّغة والأدب العربيّ
شعبة حضارة عربيّة إسلاميّة

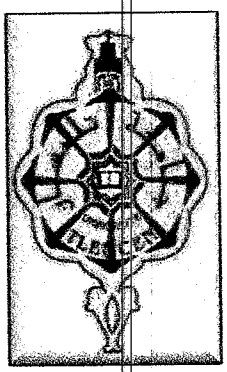

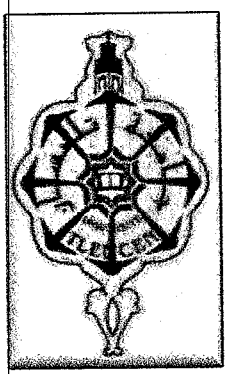

مذكرة لنيل شهادة الماستر2

العنوان

ابن مرزوق الخطيب وأثره في المشرق العربيّ

إعداد الطالبين :
- عبد القادر عياد
- بومدين مسعود

تحت إشراف:
د: عبد الحفيظ بورديم

السنة الدراسية 1434- 1435هـ/ 2013- 2014م

جامعة بوبكر بلقايد - * تلمسان *
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

سجل تحت رقم FAC.....
بتاريخ 2015.....
الرقم.....

الإهداء

إلى كل من له الفضل علينا

إلى النور الذي... إلى الأساتذة

إلى الأهل... إلى الأولاد

إلى الأحباب... إلى الإخوان

من لي بظبي رشيق القد ممشوق ❁ جددت في حبه أثواب تمزيق

يزداد من نظري أشراق وجنته ❁ فكل أيامه أيام تشريق

لولم أكن في الهوى للطير منتسبا ❁ ماقص فيه جناحي حب غرنوق

رزقت في غزلي سعدا ووافقني ❁ منه الخلاص إلى مدح ابن مرزوق

العالم الحبر والشيخ الجليل ومن ❁ يوافق الرأيَ منه حسن توفيق

لو رام بالسند العالي السما رتبا ❁ ماعاقه في السما إدراك عيّوق

ابن أبي حجلة التلمسانيّ

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على أكرم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الميامين.

أما بعد:

فقد شهد العالم الإسلاميّ مع نهاية القرن السابع الهجريّ وبداية الثامن الهجريّ كثيرا من التغيرات التي مست أكثر مناحي الحياة العامة(السياسية، الاجتماعية...). فظهرت ثلاث دول بالمغرب العربيّ كانت العلاقات بينها قائمة في أكثر الأحيان على ثقافة الصراع والصدام، وإثبات الذات وبسط النفوذ، والاستيلاء على المدن المهمة. ومن أهم المدن التي شهدت تنافسا كبيرا عليها مدينة تلمسان، وهذا عائد لمكانتها الإستراتيجية. فقد تداول عليها سلاطين الدولتين الزيانية والمرينية. سعى كل سلطان إلى عمارتها ماديا ومعنويا، مما انعكس على الحياة العامة فيها. وخاصة على الحياة الثقافية التي أخصبت ونشطت وانتعشت بسبب عناية الحكام بها. وشهدت الحياة العلمية ازدهارا، نفقت سوق العلوم والمعارف.

كان من نتائج هذه الحركة العلمية تشييد كثير من المنارات العلمية بتلمسان، واستقطاب خيرة العلماء إليها، فتخرج كثير من العلماء من مدارسها، ورضعوا من معاهدها، و تربوا في حلقاتها. ذاع صيتهم، وطبق ذكرهم الآفاق، وسارت بذكرهم الركبان. وما ذلك إلا نتيجة لما قدموه للأمة من جلائل الأعمال، كان أجلها مساهمتهم الفعّالة في الحياة الفكرية والسياسية في عصرهم، ساعدوا في التواصل العلميّ والثقافي بين جناحي العالم الإسلاميّ أي بين المشرق والمغرب، شاركوا في إثراء التراكم الحضاريّ للإنسانية. ومن مظاهر هذا التواصل العلمي والثقافي بين الأندلس والمشرق رحلات العلماء، فإنها أهم جسر للتواصل.

من هؤلاء العلماء الذين أنجبتهم تلمسان، انتخبنا أنموذجا تحقق فيه كل ما ذكرناه، كان مثالا ثقافيا وسياسيا في المغرب والمشرق العربيين، شغل حياته بأمرين اثنين: بطلب العلم ونشره، والانغماس في العمل السياسيّ. اخترنا شخصية "ابن مرزوق الخطيب"، العالم الفقيه والسياسيّ النبيه.

هذا العلم يعد حلقة مهمة في عملية التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق خلال القرن الثامن الهجريّ. كل هذا ترك أثرا في أنفسنا، واستبد بنا، فعقدنا العزم على تتبع حياته والوقوف على آثاره بالمشرق العربي، شوقا ورغبة للقائه. فعزمنا على دراسة حياته وآثاره، وقد اخترنا عنوانا لبحثنا وهو: (ابن مرزوق الخطيب، وأثره في المشرق العربيّ).

أما عن سبب اختيارنا لهذا الموضوع، فراجع لعدة أسباب. بداية وقع اختيارنا على موضوع (أثر علماء تلمسان بالمشرق العربيّ في القرن الثامن الهجريّ) إلا أن الموضوع واسع يحتاج إلى جهد مضاعف، بهذا نصحنا أستاذنا عبد الحفيظ بورديم- وهو مشكور على هذا وعلى غيره- وعرض علينا تقليص الموضوع في دراسة إحدى الشخصيات الثلاثة (المقريّ الجد، عفيف الدين التلمسانيّ، ابن مرزوق الخطيب). فوقع اختيارنا على الأخير وذلك لأننا لم نجد – فيما نعلم- من خصه بدراسة خاصة عن الأثر الذي تركه في المشرق العربيّ بشيء من التفصيل.

موضوع البحث يكتسي أهمية كبيرة، فهو يعنى بدراسة جانب من تاريخ الجزائر وأعلامها في القرون الوسطى، ويلقي الضوء على كثير من الأحداث التاريخية المساعدة على فهم الفكر السياسيّ. ويبرز دور ابن مرزوق الخطيب في الحياة العلمية والسياسية بالمغرب والأندلس والمشرق. ويكشف عن أشكال التواصل الثقافي بين تلمسان بأعلامها وبين العواصم الإسلامية في ذلك الوقت.

ولأجل بيان ذلك كله أعددنا خطة بحث تكون من مقدمة، ومدخل عرضنا فيه للحياة العلمية بتلمسان في القرن الثامن للهجرة، ومظاهر هذه الحركة وأسبابها وبعض نتائجها.

وفصلين: الأول منهما خصصناه لتتبع حياة ابن مرزوق، ورحلاته لطلب العلم، ومشيخته وتلاميذه ومؤلفاته، ومشاركته في العمل السياسيّ، وما لاقاه جراء مواقفه. والآخر كان لدراسة الأثر العلميّ والسياسيّ لابن مرزوق في المشرق العربيّ. وخاتمة تشمل نتائج البحث وجملة من التوصيات. وحرصا منا على إخراج البحث في أبهى حلة، وأجمل صورة، وتسهيلا على القارئ ذيلناه بملحقات لتراجم الأعلام، مرتبا وفق ورودها في البحث، وبعض الصور. وعقدنا فهارس للأشعار، البلدان، الأعلام، المصادر والمراجع، وأخيرا فهرس الموضوعات.

وقد استعنا في بحثنا على جملة من المصادر أهمها: (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) لأحمد المقريّ التلمسانيّ، وتاريخ ابن خلدون المعروف ب(العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، (الإحاطة في أخبار غرناطة) للسان الدين بن الخطيب، (المسند الصحيح الحسن، في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن) لابن مرزوق الخطيب، (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر العسقلانيّ، (الأعلام) للزركليّ.

والذي يظهر أن المنهج المعتمد في هذا العمل هو المنهج التاريخيّ، إذ الموضوع يعالج جملة من القضايا التاريخية.

أما عن الصعوبات التي عرضت لنا فتمثلت في: شح المصادر المفصلة لحياة ابن مرزوق بالمشرق العربيّ، وخاصة بأرض الشام. كما أننا لم نستطع الوصول إلى كتاب (عجالة المستوفز المجتاز) لابن مرزوق الخطيب. وهو مصدر هام كان سيفيدنا أكثر لو حصلنا عليه، وهو لا يزال لحد الآن مخطوطا.

على أننا لا ننسى في الأخير أن نشكر كل من أعاننا على إتمام عملنا وإخراجه، فمن شكر الله شكر الناس. بداية بالأستاذ الفاضل (عبد الحفيظ بورديم) لقبوله الإشراف على هذه المذكرة رغم كثرة انشغالاته وكثرة ارتباطاته، والذي لم يبخل عنّا بنصائحه وإرشاداته وتوجيهاته.

وشكرنا موصول إلى من ساعدنا من زملائنا الطلبة، والذين كان لهم الفضل في تزويدنا ببعض المصادر والمراجع.

الغزوات، يوم الأحد: 14رجب 1435هـ/ 14ماي 2014م.

المدخل

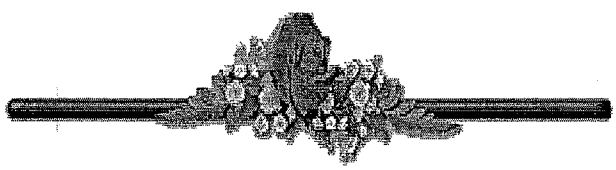

المدخل:

الحياة العلمية في تلمسان في القرن الثّامن الهجريّ:

لقد اهتم الدارسون قديما وحديثا بالمدن الإسلامية شرقا وغربا؛ تأريخا لها ووصفا. ومن بين هذه المدن التي حظيت بعناية كبيرة؛ مدينة تلمسان. فقد صنفت ضمن أهم عواصم الفكر والعلم والثقافة، وعدت مركز إشعاع ثقافيّ، وموطن تلاقح الفكر، ومنهل مختلف العلوم والمعرفة، خاصة في القرن الثامن للهجرة (ق8هـ) وما بعده.

ولكن وجب علينا أن نسأل، ما السر وراء بلوغ تلمسان هذه الحظوة، في الوقت الذي كانت فيه مدن أخرى مرشحة لتبوء هذه المكانة في المغرب الأوسط؟ وما هي العوامل التي جعلتها منارة للعلم والمعرفة على غرار مدن كثيرة؟ ومن كان وراء هذه النهضة، وما مظاهرها ؟ أسئلة نحاول أن نجد لها أجوبة في هذا المدخل.

بداية إن لكل مدينة موقعا جغرافيا، ومناخا يطبعها. وهما عاملان يؤثران في اختيار البشر موضع إقامتهم. فهم يميلون إلى المواطن المنيعة حرصا على سلامتهم، والأماكن الخصيبة توفيرا لأمنهم الغذائي. وهذان العاملان متوفران في مدينة تلمسان. فكثير من كتب التاريخ[1] والجغرافيا[2] حافلة بوصف تضاريس تلمسان، ومناخها، وطبيعتها. ساعدتها جبالها وحصونها في التصدي لحملات الطامعين ، وأسهمت كثرة مائها ووفرة غلالها على الصمود أمام الحصار سنين عددا.

1- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون، تحقيق: ألفرد بال، الجزائر، بدون ط، 1911م/ 1913م، ج1، ص9.

2- الترّوض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحميريّ، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط1، 1980م، ص135.

ومن الأمثلة على ذلك قيام يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينيّ بالإغارة على تلمسان خمس مرات كلها باءت بالفشل، وانتهى آخرها بمقتله بعد الحصار الطويل.[1]

ولذا تغنى بجمالها الشعراء، واهتم بحسنها الأدباء، واعتنى بوصفها الجغرافيون، وشغل تاريخها المؤرخون. وممن برع في تصويرها، وصدق في وصفها؛ الشاعر ابن خميس التلمسانيّ في قصيدة حائية طويلة مطلعها [الطويل][2]:

تِلِمْسَانُ جَادَتْكَ السَّحَائِبُ الرَّوَائِحُ ❁ وَأَرْسَتَ بَوَادِيكِ الرِّيَاحُ اللَّوَاقِحُ

وللفقيه أبي عبد الله محمّد بن يوسف الثغريّ قصيدة بديعة في وصف تلمسان، جاء فيها[الطويل][3]:

تَاهَتْ تِلِمْسَانُ بِحُسْنِ شَبَابِهَا ❁ وَبَدَا طِرَازُ الْحُسْنِ فِي جِلْبَابِهَا
فَالْبِشْرُ يَبْدُو مِنْ حبَابِ ثُغُورِهَا ❁ مُتَبَسِّماً أَوْ مِنْ ثُغُورِ حبَابِهَا

فالخصائص الجغرافية والمناخية دفعت القبائل لاستيطانها، والدول للتنازع عليها، حتى آلت إلى بني زيان فاتخذوها قاعدة لهم وعاصمتهم السياسية مدة ثلاثة قرون، تخللها استيلاء المرينيين عليها مدة من الزمن.

من جهة أخرى كان وراء هذه النهضة العلمية الملوك والسلاطين الذي ملكوا تلمسان. فلقد كانت لهم الأيادي البيضاء في بلوغ عاصمتهم هذه المكانة المرموقة، وذلك حينما سعوا في تطوير الحركة العلمية وإقامة الشواهد الحضاريّة بها، حيث أظهروا تنافسا في هذا المضمار.

1- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، ج7، ص196- 201.

2- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب: أحمد بن محمد المقّريّ التلمسانيّ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1408هـ /1988م، ج5، ص370.

3- المصدر نفسه، ج7، ص121.

ولعلّ الهدف من وراء هذا الاهتمام هو محاولة جعل عاصمة ملكهم موطن العلوم والآداب والفنون تشد الرحال إليها، وتضرب أكباد الإبل للوصول إليها. وبعث المذهب المالكيّ، واتخاذه مرجعية دينية للدولة، وإعادة الاعتبار لعلمائه بعد الإقصاء الموحديّ[1]. أضف إلى ذلك ولوع كثير من الحاكمين بالعلم وشغفهم بالعمارة والفنون.

وهذه العناية تتمظهر في توفير الجو الملائم للعلماء والأدباء والفنانين، وتقريبهم وإكرامهم، وبناء المدارس وتمويلها سلطانيا، وتشيد المساجد والزوايا، وكذا إنشاء المكتبات والخزائن، وتشجيع حركة التأليف. وهذا كله يعكس البعد الحضاريّ الذي بلغته تلمسان آنئذ.

ومما يشهد للحركة العلمية بالتطور في القرن الثامن وما بعده؛ شهادة الرّحالة الذين وفدوا على تلمسان؛ إذ يصف العبدريّ في رحلته عام (688هـ) ضعف التعليم ورداءته في تلمسان وقتئذ، بقوله:« وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد». ويستشهد لحكمه هذا بقوله:« وقد حضرت مدرسا مذكورا عندهم يُقرأ عليه باب التوكيد...فسمعته يقول:«كلا للمذكرين، وكلتا للمذكرتين»... وأمّا الفقه عندهم فطويل الاغتراب»[2].

وبعد أكثر من قرن نلفي القلصاديّ في رحلته يصف ازدهار الحياة العلميّة في تلمسان بقوله: «...ثم توجهنا إلى المقصودة بالذات، المخصوصة بأكمل الصفات: تلمسان... وأدركت فيها كثيرا من العلماء... وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المعلمين والمتعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجد والاجتهاد مرتقية».[3]

---

1 - تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، صالح بن قرية، سامية بوعمران، خالف محمد نجيب، منشورات المركز الوطنيّ للدراسات والبحث في الحركة الوطنيّة وثورة أوّل نوفمبر 1954، الجزائر، ط1، 2007م، ص140.

2- رحلة العبدريّ، العبدريّ، تحقيق: علي إبراهيم كرديّ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1426هـ/ 2005م، ص49، 50.

3- رحلة القلصاديّ، أبو الحسن علي القلصاديّ الأندلسيّ، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص95.

وما ذلك إلا لأن ازدهار العلوم والمعارف وكثرتها له صلة وثيقة بتطور العمران قلة وكثرة وجودة. وفي هذا السياق يقول ابن خلدون:«... أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، والسبب في ذلك أن تعليم العلم من جملة الصنائع، والصنائع إنما تكثر في الأمصار، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة؛ لأنه أمر زائد على المعاش، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان، وهي العلوم والصنائع».[1]

وهذا التحول العلميّ الذي شهدته تلمسان جعل منها قبلة للرّحالة والقاصدين، ومحلا لكثير من العلماء والأدباء.« فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية »[2].

هذا وإن مظاهر اهتمام كثير من العلماء والأدباء والمؤرّخين بمدينة تلمسان تتجلّى في التأريخ لهذه الحركة العلميّة من حيثيات متعددة، كالتأريخ للسلاطين والأمراء الذين كان لهم الفضل في هذه النهضة العلمية. فنمو هذه الحركة في تلمسان كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بحكامها الذين تداولوا على حكمها. فمحلهم من هذه النهضة موضع القطب من الرحا. حيث يظهر دوهم الإيجابي في بناء الكثير من المنشآت العمرانيّة والمؤسسات الدّينيّة والعلميّة (مساجد، مدارس،...)، والتي غدت كثرتها مؤشرا على ازدهار الثقافة والعلوم والفنون والآداب.

وقد نيط بهذه المدارس العلمية والمعاهد الشرعية والمساجد وظيفة التربية وتعليم مختلف العلوم، وتأدية الشعائر الدينية، وإعداد إطارات الدولة من علماء وقضاة وخطباء...

1- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1428هـ-1429هـ/2007م، ص441.

2- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج7، ص78.

من هذه المنشآت في عهد الزّيّانيين؛ مدرسة ابني الإمام أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام ، وهي أول مدرسة في تاريخ بني زيان، أمر ببنائها أبو حمو الأول سنة (710هـ)، وتعرف بالمدرسة القديمة، والمدرسة التّاشفينية بناها أبو تاشفين عبد الرحمن الأول سنة (725هـ)، كما أسس السلطان أبو حمو موسى الثاني مسجد سيدي إبراهيم المصموديّ، وإلى جانبه المدرسة اليعقوبية (سماها باسم والده أبي يعقوب) عام(765هـ)[1].

أما في عهد المرينيين فقد بنى أبو الحسن المرينييّ مسجد سيدي أبي مدين شعيب بالعباد بأعالي مدينة تلمسان عام (739هـ) وبجنبه مدرسة عام (747هـ)، كما قام -عام(754هـ)- ابنه السلطان أبو عنان فارس بإنشاء مسجد سيدي الحلويّ ومدرسة بجنبه[2].

ولقد شيدت هذه المعالم وفق فلسفة دينية ووظيفية، فالمدارس كانت تتبع النظام الداخليّ مما يتطلب تصميما خاصا(قاعات للدروس والصلوات، سكنى الطلبة، بيوت للوضوء)[3].

كما سخروا العنصر البشريّ لحسن سير هذه المعاهد، وتأدية رسالتها التعليمية والتربوية، فاستحدثوا وظيفة البواب، والقيم، والناظر والخدام... وكان لابد من توفير الموارد المالية التي تغطي احتياجات المدارس والمساجد، ومرتبات القائمين على تسييرها، وإعالة الطلبة النظاميين[4]، فأولوا عناية كبيرة بنظام الوقف والإشراف على الأملاك والعقارات والتبرعات المحبوسة على المدارس والمساجد والزوايا من لدن الأفراد أو الحكام، مما انعكس إيجابا على الوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ للمنتسبين لهذه المعاهد.[5]

1- تاريخ ملوك بني زيان، التنسيّ، ص139، 142، 179.

2- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ج1، ص 245، 259، 260.

3- الملحقات (رسم تخطيطي لمدرسة العباد).

4- المسند الصحيح الحسن، في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، محمد بن مرزوق التلمسانيّ، تحقيق: د: ماريا خيسوس بغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص406.

5- تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ، صالح بن قرية، سامية بوعمران، خالف محمد نجيب، ص156- 158.

دون أن نغفل الجانب الإبداعيّ العمرانيّ لهذه الصروح، فمن السلاطين من كان تستهويه فنون العمارة. كالسلطان أبي تاشفين الذي:« ...كان مولعا بتحبير الدور، وتشييد القصور...فخلد آثارا لم تكن لمن قبله ولا لمن بعده...كل ذلك لملاذه الدنيوية».[1]

إذ الأمر لم يكن مقصورا على المدلول اللغويّ والوظيفيّ لهذه المعاهد، بل المدلول العمرانيّ والجماليّ حاضر أيضا، باعتبارها شواهد حضارية. يقول ابن مرزوق واصفا عمارة المدارس في العهد المرينيّ:«...وكلها قد اشتمل على المباني العجيبة والصنائع الغريبة والمصانع العديدة والاحتفال في البناء والنقش والجص والفرش والزليجي البديع والرخام المجزع والخشب المحكم النقش والمياه النهيرة... ».[2]

كل هذه المنارات العلمية كانت حاضنة لمختلف العلوم والمعارف، فكانت تدرس بها العلوم الشرعية؛ الفقه، الحديث، التفسير، القراءات، الفرائض، التصوف، العقائد. والعلوم اللسانية والاجتماعية؛ الشعر، اللغة، البلاغة، النحو، التاريخ والجغرافيا. والعلوم العقلية؛ المنطق، والفلك ، والحساب...[3]

ولم يقف دور سلاطين تلمسان عند تشييد المنشآت العلميةَ فقط بل اهتموا بالمؤطرين، فانتخبوا هيئات التدريس وفق معيار الكفاءة والصلاح والولاء. وظهر هذا في إكرام العلماء وتقريبهم، واستقطابهم من البلدان الأخرى، وخاصة الوافدين من عدوة الأندلس، وإجراء الجرايات عليهم والإقطاعات لهم حتى يتفرغوا لمهامهم، وتوفير المساكن الخاصة بهم على مقربة من أماكن عملهم، فبرز دورهم في تطوير هذه الحركة الثقافيّة والعلميّة(تأليفا، وتعليما...). فمن أمثلة ذلك صنيع أبي حمو موسى الأول بالفقيهين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام حين وفدا عليه، فأكرم مثواهما واحتفل بهما، وبنى لهما المدرسة التي تسمى بهما، وقد لقيا نفس التبجيل والتقدير من لدن السلطان المريني أبي الحسن[4].

1- تاريخ ملوك بني زيان، التنسيّ، ص140.

2- المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص406.

3 - موجز في تاريخ الجزائر، عمورة عمار، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002م، ص86، 87.

4 - المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص265.

وكذا فعل أبو تاشفين عبد الرحمن مؤسس المدرسة التاشفينية حين قدم عليه العالم أبو موسى عمران المشداليّ. يقول التنسيّ:« فقد وفد عليه بتلمسان الفقيه العالم ... أبو موسى عمران المشداليّ، أعرف أهل عصره بمذهب مالك، فأكرم نزله...وولاه التدريس بمدرسته الجديدة»[1].

ومن ذلك مرسلات أبي حمو موسى الثاني لعبد الرحمن بن خلدون يسأله الوفود عليه، ليستخلصه لنفسه، فاعتذر وأرسل مكانه أخاه يحيى مؤرخ الدولة الزيانية[2].

هذا وإن ازدهار الحركة العلمية كان من الأولويات في سياسة سلاطين تلمسان، ذلك لأن غالبيتهم كان مولعا بالعلوم والآداب والفنون، وكان مشاركا فيها. فكان بلاطهم مكانا للمجالس العلمية والمناظرات والمسابقات الأدبية خاصة في مواسم الأعياد والموالد، يحضرها كبار العلماء والأدباء منهم: أبو زيد ابن الإمام وأبو موسى عمران المشداليّ وأبو عبد الله الشريف التلمسانيّ وغيرهم، وذلك لقراءة كتب الفقه أو الحديث أو التفسير، أو لمدارسة بعض القضايا ومناقشتها. وممن عرف بهذه المجالس أبو الحسن المرينيّ، وابنه أبو عنان، ومن الزيانين عبد الرحمن أبو تاشفين بن أبي حمو الأول (737هـ)، محمد بن أبي حمو (802هـ).[3]

ولقد قاد ولع السلاطين بالعلم وأهله إلى تشجيع عملية التأليف بمختلف الوسائل. فانبروا بأنفسهم للكتابة والتصنيف، فجاء كتاب(واسطة السلوك في سياسة الملوك) للسلطان أبي حمو الثاني. وراحوا يغدقون على العلماء المؤلفين، فقابلوا جميل كرمهم بتأليف العديد من الكتب التي حملت في عناوينها ومضامينها أسماء هؤلاء السلاطين وتاريخهم ومآثرهم منها: (نظم الدر والعقيان في دولة آل زيان) و (راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح) لمحمد بن عبد الله التنسيّ، (بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد) ليحي بن خلدون، و(المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن) لمحمد بن مرزوق الجد، وألف الشريف التلمسانيّ كتابه (مفتاح الوصول إلى بناء الفروع والأصول) للسلطان المرينيّ أبي عنان.

1- تاريخ ملوك بني زيان، التنسيّ، ص139، 141، 142.

2 - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج7، ص421.

3 - المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص260- 270.

ومن مظاهر هذه العناية إنشاء المكتبات قصد توفير الكتب التي يحتاج إليها الطلاب، ويعود إليها العلماء في عملية البحث والتأليف والمطالعة. ومن تلك المكتبات مكتبة الجامع الكبير بتلمسان التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني عام (760)هـ. فقد كانت بأكورة العمل المكتبي في عهد بني زيان. كما أن الاهتمام بنسخ المؤلفات وتوقيفها على مكتبات المدارس والمساجد كانت عاملا مهما يوفر للمعلمين والمتعلمين الوقت والمال. وقد شارك بعضُ السلاطين في نسخ الكتب وتحبيسها، منهم السلطان أبو زيان محمد بن أبي حمو الذي: « نسخ -رضي الله عنه- بيده الكريمة نسخا من القرآن وحبسها ونسخة من صحيح البخاري، ونسخا من الشفا لأبي الفضل بن عياض حبسها بخزانته التي بمقدم الجامع الأعظم من تلمسان المحروسة »[1].

وكان من نتائج هذه النهضة العلمية تخرج عدد كبير من العلماء والخطباء والمدرسين والقضاة الذين أطبق ذكرهم الآفاق. استطاعوا أن يؤثروا في الحياة الفكرية وحتى السياسية في تلمسان وخارجها. نشروا اللغة، وورثوا الثقافة الإسلامية، وكانوا حلقة من حلقات التواصل الحضاريّ بين المغرب والمشرق، وأسهموا في تثبيت المذهب المالكي في المغرب العربيّ، وشغلوا المناصب السياسية .

من هؤلاء الأعلام الذين عايشوا هذه الحياة الفكرية والسياسية في القرن الثامن الهجريّ، فتأثروا بها وأثروا فيها : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق، المشهور بالجد وبالخطيب.

فمن يكون ابن مرزوق الخطيب ؟

وما هو أثره الذي خلفه في حياته ؟

وما هو أثره بالمشرق العربيّ ؟

---

1 - تاريخ ملوك بني زيان، التنسيّ، ص211.

الفصل الأول

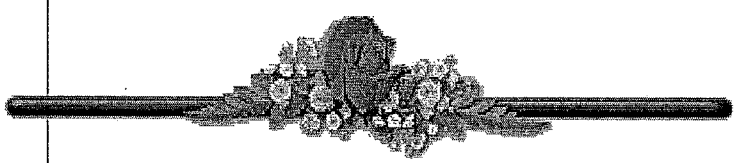

الفصل الأول:

حياة ابن مرزوق التلمسانيّ.

ابن مرزوق الخطيب من الشخصيات البارزة في القرن الثامن الهجريّ، طارت شهرته شرقا وغربا. لذا لم يغفل المؤرخون والمترجمون ترجمته وذكر سيرته وأخباره في مؤلفاتهم، والتي تربو على العشرين. إلا أننا ألفينا غالبية من ترجم له عمدتهم كتاب(الإحاطة في أخبار غرناطة) لابن الخطيب[1]، وتاريخ ابن خلدون[2]. بحكم أن الرجلين عاصرا ابن مرزوق. كما أفرد له المقريّ التلمسانيّ ترجمة وافية في كتابه (نفح الطيب)[3]. هذا وإن ابن مرزوق جاء على ذكر جانب من سيرته الذاتية في مؤلفاته مثل: (المسند الصحيح الحسن)، و(المناقب المرزوقية)[4].

من قبيلة بربرية كبيرة بعضها مقيم بجبال مدينة المسيلة تسمى عجيسة[5]، ومن عائلة طيبة الأسلاف كريمة الأخلاف، تاريخها حافل بشخصيات أقدامها راسخة في العلم، ومشهود لها بالولاية والصلاح للعم والجد والوالد، والولدين والحفيد وولد الحفيد، وأسرة معروفة بالمرازقة نسبة إلى جدهم مرزوق بن الحاج النازح عن القيروان إلى تلمسان في أواخر القرن الخامس الهجريّ، ينحدر محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، المكنى بأبي عبد الله، والملقب بشمس الدين والجد والخطيب والرئيس، الإمام العلامة الحافظ الرحالة الفقيه المحدث.

1- الإحاطة، ابن الخطيب، ج3، ص103- 130.

2 - تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 396. ويبدو من خلال بعض العبارات الواردة في الترجمة، أن العلاقة كانت بينهما تتسم ببعض الفتور، والسبب هو اتهام ابن خلدون لشيخه بالسعاية به لدى السلطان أبي سالم المرينيّ.

3 - نفح الطيب، المقريّ، ج5، ص391

4- هذا العنوان من وضع المحققة سلوى الزهراويّ، أما الأصل فهو(المجموع).

5- **عجيسة**: ومدلول عجيسة بلغة البربر: البطن. كان لهم بين البربر كثرة وظهور وكانوا مجاورين في بطونهم لصنهاجة وبقاياهم لهذا العهد في ضواحي تونس بالجبال المطلة على المسيلة. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج6، ص90،89، 145.

كان مولده بمدينة تلمسان، على اختلاف في سنة مولده على أقوال، قال ابن مرزوق في كتابه (المناقب المرزوقية):« كان مولدي...في أوائل ذي قعدة سنة إحدى عشر وسبعمائة، وقيده بعضهم سنة إثني[اثني] عشر وسبعمائة»[1]، وذكر ابن خلدون أن مولده سنة عشر وسبعمائة وفق ما حدثه به صاحب الترجمة[2]، ويرى ابن مريم أنها آخر سنة عشر وسبعمائة[3]. وقفنا على من ترجم لابن مرزوق فألفيناهم يرجحون مولده سنة إحدى عشر وسبعمائة وقل من شذ عن هذا.

كان ابن مرزوق حسن الشكل جليل القدر، موسوم بالظرافة واللطافة وحلاوة المنطق، وانبساط الوجه. أسهب ابن الخطيب في تعداد جميل أوصافه، وكريم أخلاقه، فقال:« هذا الرجل من طُرف دهره ظرفاً وخصوصية ولطافة، مليح التوسل حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التودد، نظيف البزة، لطيف التأتي، خير البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيب الحديث...»[4].

نشأ ابن مرزوق بتلمسان، وفتح عينيه في أسرة منكبّة على تلقي العلوم والاستزادة من المعرفة، بداية بوالده الذي كان له الأثر الكبير في حياة ابن مرزوق العلمية، والذي كان حريصا على تنشئة ابنه تنشئة صالحة. فكان والدا وشيخا ومربيا وصاحبا في الحل والترحال. كما أن ازدهار الحياة العلمية بتلمسان كان عاملا مساعدا في تكوين ابن مرزوق علميا، فجلس إلى كثير من علماء عصره داخل تلمسان. كما أن رحلاته إلى أكبر مدن العالم الإسلامي(مكة، المدينة، القاهرة، دمشق، بيت المقدس، الإسكندرية، تونس، بجاية، فاس...) مكنته من التزود من العلوم والإفادة من لقاء العلماء والصالحين.

1- المناقب المرزوقية، أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانيّ، تحقيق: سلوى الزهراويّ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1429هـ/2008م، ص298.

2- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون ، ج7، ص396.

3- البستان، ابن مريم، ص184.

4- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1394هـ/ 1974م، ج3، ص104.

بداية برحلته الأولى رفقة والده لمدة خمس سنوات، سنة أربع وعشرين وسبعمائة (724هـ)[1]، ورحلة أخرى دامت سنتين، سنة أربع وثلاثين(724هـ) إلى المشرق العربيّ. فحياته حافلة بتلقي العلم من أفواه الرجال، والسماع من جلة العلماء.

يبلغ شيوخه نحو من ألفي شيخ[2]، استودع ذكرهم في مؤلف سماه (عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجازه من أئمة المغرب والشام والحجاز)، وفي آخر كتابه (المناقب المرزوقية)[3].

من مشيخته[4] بتلمسان بعد والده، أبو زيد عبد الرحمن بن علي، محمد بن هدية القرشيّ، محمد بن علي الآبليّ، ابنا الإمام، وبفاس محمد بن علي بن سليمان السطيّ، محمد بن عبد الرزاق الجزوليّ، وعن أبي علي بن ناصر الدين المشذاليّ ببجاية، وبتونس محمد بن عبد السلام الهواريّ، والفقيه محمد بن حسن القرشيّ...

أما بالمشرق العربيّ فقد أخذ بالمدينة المنورة عن عز الدين الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطيّ، وجمال الدين محمد بن أحمد بن خلف الخزرجيّ... وبمكة عن عيسى بن عبد الله الحجّيّ... وبالقاهرة عن علاء الدين القونويّ، وبدر الدين بن جماعة...، وفي بيت المقدس عن برهان الدين الجعبريّ...، وفي دمشق برهان الدين الفزاريّ...، وممن أخذ عنهم في أماكن متفرقة وفي مرات متفاوتة شيخه أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشيّ.

إن في كثرة أساتذة ابن مرزوق دلالة على رسوخ قدمه في العلم، ومشاركته في كثير من العلوم النقلية والعقلية وتبريزه فيها، من أدب وفقه وحديث وقراءات وتصوف وتاريخ ولغة.

1- وهذا التاريخ صرح به ابن مرزوق في كتابه(المناقب المرزوقية)، ص301، وهو مخالف لما أورده ابن خلدون، وتبعه ابن مريم في البستان، اللذان ذكرا أن الرحلة كانت سنة718هـ.

2- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكيّ، تحقيق: محمد الأحمديّ أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون ط، بدون ت، ج2، ص293.

3- المناقب المرزوقية، ابن مرزوق، ص298- 304.

4- الديباج المذهب، ابن فرحون ، ج2، ص291- 294.

قال عنه ابن الخطيب:« متسع الرواية، مشارك في فنون، من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويشعر، ويقيد ويؤلف... »[1]. فهو من رجال الحديث ورواته وواحد من المسندين له، وهذا بشهادته قائلا:«...أنه ليس اليوم يوجد من يسند الأحاديث الصحاح سماعا من باب الإسكندرية إلى البريق[البرين][2] والأندلس غيري»[3].

قال فيه ابن أبي حجلة التلمسانيّ[البسيط][4]:

العَالِمِ الحَبْرِ وَالشَّيْخِ الْجَلِيلِ وَمَنْ ❁ يُوَافِقُ الرَّأْيُ مِنْهُ حُسْنَ تَوْفِيقِ
لَوْ رَامَ بِالسَّنَدِ الْعَالِي السَّمَا رُتَباً ❁ مَاعَاقَهُ فِي السَّمَا إِدْرَاكُ عَيُّوقِ[5]

ورّث ابن مرزوق علومه ومروياته سماعا وإجازة لعدد كبير من مريديه، في أصقاع البلدان التي وطئتها أقدامه. فممن حاز شرف الطلب بين يديه: ابن مرزوق الحفيد، لسان الدين ابن الخطيب، ابن خلدون، ابن قنفذ القسنطينيّ، ابن زمرك وغيرهم.

استطاع ابن مرزوق أن يخلف تراثا علميا في التاريخ والحديث والفقه والمنطق... وهذا الميراث يمثل عصارة فكر، وتجارب حياة، وشهادة على عصر، دل على علو كعب، ورجاحة عقل، وقوة استدلال، مساهمته الفعّالة في الحياة الفكرية والفقهية في عصره. يقول صاحب الديباج:« وتصانيفه عديدة في فنون متنوعة، وكلها بديعة كثيرة الفائدة، تدل على كثرة اطلاعه»[6].

1- الإحاطة، ابن الخطيب، ج3، ص104.

2- هكذا جرى تصحيحها في حاشية البستان، ابن مريم، ص187.

3- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1389هـ/ 1989م، ص453.

4- ديوان ابن أبي حجلة ، تحقيق: مجاهد مصطفى بهجت ،كنوز للنشر والتوزيع ، الجزائر، بدون ط، 2011م، ص40.

5- العيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة . مادة(عوق) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرّازيّ، تحقيق: محمود خاطر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2001م، ص194.

6- الديباج المذهب، ابن فرحون، ج2، ص296.

ومن هذه الآثار منها ما هو مطبوع موجود، ومنها ما هو مخطوط ينتظر من يحققه، ومنها ما هو في حكم المفقود. وهذه لائحة ببعض الآثار الكتابية لابن مرزوق[1]:

- (عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز). وهو كتاب قيم جمع فيه ابن مرزوق أسماء شيوخه - من رجال ونساء- الذين تلقى عنهم وسمع منهم بالمغرب والمشرق، بصفة دائمة أو على فترات متقطعة. ولا يزال هذا العمل مخطوطا. وقد نقل لنا المقريّ بعض النماذج منه[2].

- (المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن)، وضعه في سيرة السلطان أبي الحسن المرينيّ.

- (تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام)، وهو شرح لكتاب(عمدة الأحكام عن سيد الأنام) لتقي الدين الجماعيليّ.

- (الأربعون المسندة في الخلافة والخلفاء).

- (إيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد).

- (شرح على فروع ابن الحاجب في الفقه المالكي).

- (إظهار صدق المودّة في شرف قصيدة البردة).

- (جنى الجنتين في فضل الليلتين)،

- (إيضاح السّالك على ألفيّة بن مالك).

- (برح الخفا في شرح الشفا). شرح لكتاب (الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى) للقاضي عياض. عندما عزم على شرحه دعا تلميذه أبا إسحاق الشاطبيّ لنظم قصائد في مدح كتاب الشفا ليدبج بها الكتاب[3].

1- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/ 1980م ، ج2، ص290.

2- نفح الطيب، المقريّ، ج5، ص292- 295.

3- الإفادات والإنشادات، أبو إسحاق الشاطبيّ، تحقيق: محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرّسالة، بدون ط، بدون ت، ص150- 152.

- شرح على الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيليّ. وله شرح على صحيح البخاري. وله ديوان خطب.

هذا وقد وهم صاحب فهرس الفهارس بإسناده كتاب (النور البدريّ في التعريف بالفقيه المقريّ) لابن مرزوق الجد[1]، بينما هو للحفيد[2].

أما عن شعر ابن مرزوق فقد احتفظت لنا بعض المصادر[3] بقصيدة مولدية (117بيتا) نظمها عام (763هـ) بفاس قال فيها[مجزوء الرجز]:

أَيا نَسِيمَ السَّحَرِ ❁ بِاللهِ بَلِّغْ خَبَرِ
إِنْ أَنْتَ يَوْماً بِالحِمَى ❁ جَرَرْتَ فَضْلَ المِئْزَرِ
ثُمَّ حَثَثْتُ الْخَطْوَ مِنْ ❁ فَوْقِ الكَثِيبِ الْأَعْفَرِ

وله بعض القطع الشعرية؛ كالتي قالها في الترحيب بابن الخطيب القادم من عدوة الأندلس، ومادحا فيها السلطان أبا عنان مطلعها[الكامل]:

يَا قَادِماً وَافَى بِكُلِّ نَجَاحِ ❁ أَبْشِرْ بِمَا تَلْقَاهُ مِنْ أَفْرَاحِ
هَذِي ذُرَى مُلْكِ الْمُلُوكِ فَلُذْ بِهَا ❁ تنَلِ الْمُنَى وَتَفُزْ بِكُلِّ سَمَاحِ
مغْنِي الْإِمَامِ أَبِي عَنَانِ يَمِّمَنْ ❁ تَظْفَرْ بِبَحْرٍ فِي الْعُلَى طَفَّاحِ
مَنْ قَاسَ جُودَ أَبِي عَنَانِ ذِي النَّدَى ❁ بِسِوَاهُ قَاسَ الْبَحْرَ بِالضَّحْضَاحِ

1- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتانيّ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط2، 1402هـ/ 1982م، ج2، ص682.

2- نفح الطيب، المقريّ، ج5، ص340.

3- الإحاطة، ابن الخطيب، ج3، ص107، 111.

وله قصيدة قالها لما كان في سجنه بتلمسان، ولم يصل منها غير البيت الأول وهو[المتقارب][1]:

رَفَعْتُ أُمُورِي لِبَارِي النَّسَم ❁ وَمُوجِدُنَا بَعْدَ سَبْقِ الْعَدَم

لما عاد ابن مرزوق سنة (735هـ) إلى تلمسان من رحلته إلى المشرق العربيّ، ولي أعمالا علمية وسياسية لدى السلطان أبي الحسن المرينيّ الذي استخلصه لنفسه مدة حكمه. فكان من أكابر رجالات الدولة، فقلده مناصب هامة في دولته؛ كلفه بإمامة الجمعة، والخطابة بين يديه، كما أنه اصطفاه من بين خاصته ليفضي إليه بأسراره، وانتخبه أمين رسائله، وكاتبا بين يديه، وسفيرا عن إلى الملوك.[2]

شهد ابن مرزوق مع السلطان واقعة طريف التي انهزم فيها المسلمون سنة(741هـ). وأرسل إلى قشتالة في مهمة لفداء ابن أبي الحسن الذي وقع أسيرا، وقد لاقت مهمته نجاحا وحققت أهدافها بسبب حنكة ابن مرزوق الدبلوماسية.

وبعد المحنة التي ألمت بالسلطان أبي الحسن، عاد ابن مرزوق إلى بلده تلمسان. وهناك بدأت المحن تتحرش به. ناله الأذى من لدن السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزيانيّ وأخيه أبي ثابت. فقد امرأبو ثابت باعتقال ابن مرزوق حين ارتاب في أمره بولائه لأبي الحسن المرينيّ الذي راسله بغية عقد الصلح بينه وبين أبي سعيد وأخيه أبي ثابت، عمل ابن مرزوق وسيطا بين الطرف المرينيّ والزيانيّ . فأخذ ابن مرزوق أسيرا وألقي في السجن تسعة أشهر، حتى شارف على الهلاك، بعد أن انتهكت حرمته، وصودرت أمواله، وهذا سنة(752هـ)[3].

يقول ابن الخطيب:« فصرف مأخوذاً عليه طريقه، منتهباً رحله، منتهكة حرمته، وأسكن قرارة مطبق عميق القعر، مقفل المسلك، حريز القفل، ثاني اثنين. ولأيام قتل ثانيه ذبحاً بمقربة... أيقن الناس بفوات الأمر فيه. ولزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه، في خبر ينظر بطرقه إلى

1- المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص 52.

2- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج7، ص312.

3- المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، 497.

الكرامة، فنجا ولا تسل كيف، وخلصه الله خلاصاً جميلاً، وقدم على الأندلس، والله ينفعه بمحنته»[1].

بعد خلاصه من السجن جاوز إلى عدوة الأندلس استقبله السلطان أبو الحجاج النصريّ وتلميذه الوزير ابن الخطيب لسابقة صداقة حصلت بينهما. فولي الخطبة بجامع الحمراء، وقام بتدريس التصوف في المدرسة البلاطية سنة (753هـ)[2].

ولما ولي السلطان أبو عنان استدعى ابن مرزوق من إقامته بالأندلس، حيث:«... نظمه في أكابر أهل مجلسه، وكان يقرأ الكتب بين يديه في مجلسه العليّ ويدرس في نوبته مع من يدرس في مجلسه منهم»[3]. ولم يلبث أن ابتلي بالوشاة والحاقدين فسعوا به لدى أبي عنان فوقع في الأسر مرة أخرى عام (758هـ) مدة ستة أشهر[4].

وبعد حروب داخلية آل الأمر للسلطان أبي سالم (760هـ)، فأصبح ابن مرزوق يتحكم في أمور الدولة بدون منازع، وحظي بمكانة كبيرة، يصفها ابن الخطيب بقوله:« إذا انصرف تبعته الدّنيا، وسارت بين يديه الوزراء، ووقفت ببابه الأمراء. قد وسع الكلّ لحظه وشملهم بحسب الرّتب والأموال رعيه ... لكنّ رضى النّاس غاية لا تدرك والحقد بين بني آدم قديم»[5]. هذه الحظوة كانت سببا في اغتيال السلطان أبي سالم سنة (762هـ) –على رأي ابن خلدون-[6]، وسببا في نكبة ابن مرزوق، فسجن للمرة الثالثة عامين، ومن ثم رحل إلى تونس سنة(764هـ) بعد إطلاق سراحه. لقيه السلطان إسحاق بن إبراهيم بكل حفاوة وعينه خطيبا بمسجد الموحدين.

1- الإحاطة، ابن الخطيب، ج3، ص107.

2- المصدر نفسه، ج3، ص104.

3- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج7، ص397.

4-تاريخ الدوليتن الموحدية والحفصية، محمد بن إبراهيم الزركشيّ، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، بدون ط، 1966، ص98.

5- الإحاطة، ابن الخطيب، ج3، ص118، 119.

6- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج7، ص312.

قرر الرحيل إلى المشرق العربيّ سنة(773هـ)، بعد أن تولى أبو العباس أمور تونس سنة(772هـ) أقدم على إيقاف ابن مرزوق عن مزاولة وظائفه، لأنه لم يظهر الولاء له، فاختار أن يتوجه إلى مصر المملوكية بعد انعدمت سبل العودة إلى بلاده. وعندما عزم على الرحيل أنشد قائلا[الوافر][1]:

أُوَدِّعُكُمْ وَأُثْنِي ثُمَّ أُثْنِي ❁ عَلَى مَلِكٍ تَطَاوَلَ بِالْجَمِيلِ
وَأَسْأَلَ رَغْبَةً مِنْكُمْ لِرَبِّي ❁ بِتَيْسِيرِ الْمَقَاصِدِ وَالسَّبِيلِ
سَلَامُ اللهِ يَشْمَلُنَا جَمِيعًا ❁ فَقَدْ عَزَمَ الْغَرِيبُ عَلَى الرَّحِيلِ

توجه بحرا فنزل بالإسكندرية ثم انتقل إلى القاهرة، فلقي عناية كبيرة من لدن الملك الأشرف شعبان. وبالقاهرة استقر ابن مرزوق الخطيب مكرما موقرا، وبها توفي في ربيع الأول سنة(781 هـ)، ودفن بين الإمامين عبد الرحمن بن القاسم وأشهب، وهذا بعد حياة طويلة مليئة بالنشاط العلميّ والسياسيّ.

1- المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص52 .

الفصل الثاني

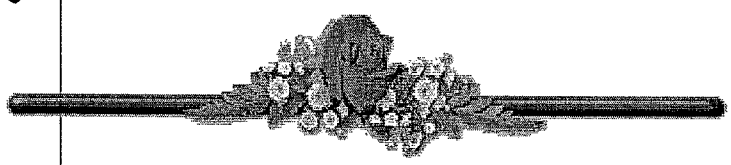

الفصل الثاني:

أثر ابن مرزوق في المشرق العربيّ:

إن الحديث عن أثر ابن مرزوق الخطيب في المشرق العربيّ يدفعنا للحديث عن حركة علماء تلمسان وعلاقتهم بالمشرق. وهذه الحركة التي شهدت تطورا مشهودا وخاصة في أواخر القرن الثامن الهجريّ وما بعده. فهذه الحركة الثقافية المشهودة، لم يكن أثرها محليا فحسب، بل شملت مختلف الأقطار الإسلامية، بلغ صداها إلى المغربين الأقصى والأدنى والأندلس والمشرق. وذلك من خلال الرحلات التي كانت تقود علماء تلمسان إلى الحواضر الإسلامية العلميّة الكبرى بالمشرق، كالقاهرة، بيت المقدس، مكة المكرمة، المدينة المنورة، دمشق. وهذا التنقل كان لأسباب متعددة نذكر منها:

1. الدافع الدينيّ:

وهو المحرك الأساس لعمليات الانتقال، وفي طليعته الحج إلى مكة المكرمة وزيارة المدينة المنورة، والقدس الشريف طلبا للثواب والبركة والمجاورة.

2. الدافع المعرفيّ:

ارتحل إلى المشرق الصفوة من العلماء والنخبة من طلبة العلم توسيعا لمعارفهم وإثراء لها، وتنقيحها بلقائهم بالعلماء المشهورين بهذه الحواضر. حيث استطاعوا الإسهام في تفجير ينابيع الثقافة، والانخراط في المجتمعات المشرقية تأثرا وتأثيرا[1].

ويظهر هذا التفاعل الثقافي في صور متعددة نذكر منها:

- تولي الكثير منهم الوظائف العلمية في المؤسسات التعليمية. فحسب الإحصاءات احتل العلماء المغاربة والأندلسيين القائمين على التدريس بمدارس وزوايا بيت المقدس المرتبة الثالثة بعد

1- تلمسان في العهد الزيانيّ، عبد العزيز فيلالي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ج2،ص 329..

الشاميين والمصريين. وهي نسب تقارب تسع ($\frac{1}{9}$) عدد العلماء الأساتذة في الفترة الزمنية الممتدة سنة(659هـ) إلى ما بعد سنة(803هـ)[1].

- تولي المناصب الهامة، منها منصب القضاء، وممن شغل هذه المقعد ابن خلدون بمصر في أواخر القرن الثامن الهجريّ.

- تأليف الكتب نقلها واقتناء المؤلّفات ذات الصيت الذائع في العالم الإسلاميّ. كتأليف كتاب ابن أبي حجلة التلمسانيّ (ديوان الصبابة) للملك الناصر حسن.

- القيام بالمناظرات في الأمور الدينية خاصة، والمسائل العلمية، والمستجدات على الساحة الفكرية. كمناظرة ابني الإمام لابن تيمية[2].

- تبادل الإجازات العلمية في شتى العلوم وشهادات التزكية، وأسانيد القراءة والحديث وغيرها.

3. الدافع السياسيّ:

لم تكن الرحلة إلى المشرق مقصورة على الدوافع العلمية والدينية فقط، بل كان العلماء يرتحلون إلى المشرق ضمن الوفود التي كان يبعثها الملوك والسلاطين حسب ما كانت تقتضيه الأعراف الدبلوماسية وقتئذ.

وأحيانا أخرى يكون التحول عن الأوطان قسرا واضطرارا، إثر تدهور الأوضاع السياسية، وبعد الإحساس بالخوف على النفس والأهل في المغرب العربيّ، يتوجهون إلى المشرق طلبا للأمن الاستقرار في ظل حكم سلاطين المماليك بمصر تحديدا، والتي أصبحت بمثابة الحصن الأخير للحضارة الإسلامية بعد انتقال الخلافة العباسية لها بعد الاجتياح المغوليّ للعاصمة بغداد. ولمكانتها العلمية وازدهار الحياة الثقافيّة بها[3].

1- دراسات في تاريخ القدس الثقافيّ في العصر الوسيط، حاتم محمد محاميد، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009، ص115.

2- المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص265، 266.

3- القدس في العصر المملوكيّ، علي السيد علي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 1986م، ص121.

تحتفظ لنا كتب الأدب والتاريخ والتراجم بأسماء لكثير من العلماء الوافدين على العواصم الثقافية بالمشرق العربيّ في القرن الثامن الهجريّ ، كابني الإمام، وابن خلدون، أبو عبد الله الآبليّ، ابن أبي حجلة، أبو عبد الله التلمسانيّ وغيرهم كثير.

يمكننا القول بأن انتقال علماء تلمسان إلى المشرق لم يكن انتقالا حسيا جسديا فحسب، بل كان فكريا وروحيا وثقافيا. أسهموا في تحقيق التراكم المعرفيّ والحضاريّ الإنسانيّ. وساعدوا على توطيد العلاقات بين دول المغرب والمشرق العربيّ الإسلاميّ. وذلك بالتعامل السلميّ والتقارب السياسيّ.

وابن مرزوق الخطيب يعد أنموذجا لهذا التفاعل بين المغرب والمشرق في الميادين الثقافية والسياسية. فقد كان له أثر بيّن في المشرق وخاصة بمصر. وذلك راجع لمكانته لدى العلماء بعد احتكاكه بهم، والسلاطين والأمراء المملوكيين حين وفوده عليهم. فعرف قدره وحقه صغيرا وكبيرا. وذاع صيته بمصر وهو ابن تسع عشرة سنة، فعرضت عليه وظيفة معيد للدروس بجامع الحاكم بأمر الله وجامع ابن طولون مع راتب مغر، غير أن هذا العرض قوبل برفض والده الذي كان يصحبه في أكثر رحلاته التي قادته إلى المشرق[1].

وتحصي المصادر التاريخية لابن مرزوق عددا من الرحلات. بداية بالرّحلة الأولى سنة (717هـ) وهو ابن ست أو سبع سنوات، والثانية سنة (724هـ) ودامت خمس سنوات، زار مكة والمدينة والقدس والخليل. والثالثة سنة (734هـ) قادته إلى القاهرة والإسكندرية لمدّة سنتين. تلقى خلال كل تلك الرحلات - ذات الطابع الدينيّ والعلميّ- مختلف العلوم الدينية على أيدي كبار علماء البلاد التي وطئتها قدماه. ورحلة رابعة ذات طابع سياسيّ سنة (737هـ)، وذلك حين وفد على السلطان المملوكي لأمر يتعلق بالسلطان أبي الحسن[2]. ورحلة أخيرة سنة(773هـ)، كانت لأسباب سياسية اضطرته للانتقال إلى المشرق بنية الاستقرار، وهذا بعد أن قلب له الزمان ظهر المجن، وضاقت عليه أرض المغرب بما رحبت، فقد شهد في حياته العديد من النكبات بين سجن ونفي ونهب للأموال بسبب مواقفه السياسية.

1- تاريخ تلمسان في عهد بني زيان، عبد العزيز فيلالي، ج2، ص 333.

2- المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص241، 242.

فاختار حط عصا الترحال بأرض مصر التي غدت محلا يسكنه العلماء، ومركزا يحط رحالهم الفضلاء. هناك لقي حفاوة كبيرة من سلطانها الأشرف شعبان، وفي هذا السياق يقول ابن مرزوق:« ثم توجهت في البحر إلى القاهرة فحللت بها ولقيت من ملكها- الذي لم أر من الملوك مثله الأشرف شعبان بن حسين- حلما وفضلا وجودا وتلطفاً ورحمى. وأجرى علي وعلى ولدي ما قام به الحال، وقلدني دروسا ومدارس وأهلني بقول بحضرته».[1]

لا شك أن لابن مرزوق - الذي اشتهر في المشرق العربي عموما و بمصر خصوصا- آثارا جعلته يحظى بمكانة لدى العلماء والسلاطين.

- فما هي هذه الآثار؟
- وما هي أشكالها؟

من خلال صفحات حياة ابن مرزوق ندرك أنه شغل بأمرين:

- الأول منهما: تحصيل العلوم ونشرها.
- الآخر: انخراطه في الحياة العامة والعمل السياسيّ.

ومن هنا يمكن حصر أثر ابن مرزوق في المشرق في أثرين هما: الأثر العلميّ والدينيّ، والأثر السياسيّ.

1- الدرر الكامنة، ابن حجر، ج3، ص362 .

أ- الأثر العلميّ والدينيّ:

لا تسهب المصادر التي بين أيدينا في تفصيل حياة ابن مرزوق التعليمية في المشرق، إلا أنها تفصح عن توليه الوظائف العلميّة بالمدارس المملوكيّة. إذ تم تكليفه بالتدريس في بعض المدارس والزوايا والخوانق[1] منها: المدرسة الشيخونية[2]، والمدرسة الصرغتمشية[3] والمنصورية[4]... والذي أهله للتدريس في هذه المعاهد كافأته العلمية، وتوفر الشروط التي وضعها واقفها في شيوخها وهي: التصوف والمعرفة بالتفسير والأصول، وألا يكون قاضيا؛ وهذا الشرط سار على جميع الشيوخ القائمين على عملية المواد العلمية (فقه، حديث، قراءات، إسماع الصحيحين وكتاب الشفا للقاضي عياض). فعين لتدريس الحديث في المدرسة المنصورية سنة (773هـ).[5]

كانت هذه المدارس إحدى قنوات العطاء العلميّ لابن مرزوق، فقد درس عليه خلق كثير، وانتفع بعلمه جلة العلماء.

1- الخوانق: جمع خانقاه وهي كلمة فارسية معربة معناها بيت الأكل. ثم صارت البيت الذي يقيم فيه الصوفية. وفي العهد المملوكي أضحت تشابه المسجد والمدرسة، يدرّس فيها الفقه والحديث و القراءات والتّصوف، كما كانت مأوى للوافدين من الغرباء على مصر. خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق بن محمد، مكتبة النوريّ، دمشق، ط3، 1403هـ/ 1983 م، ج6، ص130.

2- المدرسة الشيخونية: بناها الأمير سيف الدين شيخو العمريّ سنة(756هـ). ورتب فيها سبعة دروس: أربعة على المذاهب الأربعة، ودرس حديث، ودرس قراءات، ومشيخة إسماع الصحيحين والشفاء. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطيّ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1387 هـ / 1967م، ج2، ص266.

3- المدرسة الصرغتمشية: تقع هذه المدرسة خارج القاهرة بجوار جامع ابن طولون، بناها الأمير صرغتمش الناصريّ ما بين (756هـ- 757هـ). وهي من أبدع المباني وأجلها، ورتب فيها درس فقه على مذهب الحنفية، ودرس حديث. المصدر نفسه، ج2، ص268.

4- المدرسة المنصورية: أنشأها الملك المنصور قلاوون، ورتب في هذه المدرسة دروس فقه على المذاهب الأربعة، ودرس تفسير ودرس حديث، ودرس طب. المصدر نفسه، ج2، ص264.

5- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ابن حجر العسقلانيّ، تحقيق: د: محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ /1986م، ج1، ص11.

فمن تلاميذه بالقاهرة التي استقر بها كان: يحيى بن محمد بن عبد الرحمن الأصبحيّ[1]، حسين بن علي البوصيريّ القاهريّ المالكيّ[2]، وبمكة جمال الدّين ابن ظهيرة المكيّ[3] وغيرهم.

ويبرز أثر ابن مرزوق في الحياة العلمية بالمشرق عن طريق الإجازات، باعتبارها طريقة من طرق تحمل الحديث ونقله، وتكون شفوية ومكتوبة، وتأخذ صورا عدة، أعلاها إجازة معين لمعين، ومنها إجازة معين لغير معين. وابن مرزوق من العلماء الذين تلقوا عن أشياخهم العلم، عن طريق السماع أو الإجازة، وهذا ما يشير إليه عنوان كتابه(عجالة المتسوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب والشام والحجاز). وهو من المسندين للحديث النبويّ وهذا ما صرح به قائلا:«...أنه ليس اليوم يوجد من يسند الأحاديث الصحاح سماعا من باب الإسكندرية إلى... الأندلس غيري»[4].

عمل ابن مرزوق على توريث مروياته لطلبة العلم، بالمغرب والأندلس والمشرق العربيّ سماعا وإجازة. ولقد أخذت إجازاته صورا متعددة؛ منها إجازة غير معين لغير معين، فأجاز لمن أدرك حياته[5]. وإجازة غير معين لمعين كأجازته بالمدينة المنورة لأحمد بن محمد بن الجلال بن الجمال الخجنديّ ولولديه، بعد أن أرسل إليه يسأله الإجازة سنة(779هـ)، فكتب له ابن مرزوق قائلا[الوافر][6]:

1- بغية الوعاة، السيوطيّ، ج2، ص343.

2- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن محمد السخاويّ، دار الجيل، بيروت، بدون ط، بدون ت، ج3، ص150.

3- إنباء الغمر، ابن حجر، ج7، ص157- 159.

4- نيل الابتهاج، التنبكتيّ، ص453.

5- الدرر الكامنة، ابن حجر، ج2، ص20.

6- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين محمد السخاويّ، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1993م، ج1، ص152.

أَجَزْتُ السَّائِلَ الأَرْضَى المُجَازَا ۞ جَلَالَ الدّينِ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَازَا
إِمَامَ مَعَارِفٍ وَكَفَى إِمَامَا ۞ لِعِلْمِ مَذَاهِبِ النُّعْمَانِ جَازَا
وَإِنْ كُنْتُ الأَحَقُّ بِذَاكَ مِنْهُ ۞ لِتَقْصِيرِي حَقًّا لَا مَجَازَا
وَلَكِنِّي ائْتَمَرْتُ لَهُ امْتِثَالَا ۞ وَمُقْتَفِيًا مَنَاهِجَ مَنْ أَجَازَا

ويظهر أثر ابن مرزوق باديا من خلال مؤلفاته التي لقيت قبولا حسنا عند العلماء المشارقة. وكانت رافدا من الروافد المعرفية في كثير من الميادين (الفقه، السيرة، العربية، التاريخ...). ففي التاريخ تعد مؤلفات ابن مرزوق مصدرا مهما لكثير من الأحداث التاريخية بالمغرب العربيّ، بمؤلفاته (المسند الصحيح) و(المناقب المرزوقية). وكتابه (عجالة المستوفز) الذي يعد من أهم المراجع في تراجم العلماء والمحدثين، والفقهاء والصالحين خلال القرنين السابع والثامن الهجريّ في كل من المغرب والشام والحجاز.

وممن استعان من العلماء بمؤلفات ابن مرزوق؛ ابن حجر العسقلانيّ، وخاصة في كتابه (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة). إذ نلفيه يصرح باطلاعه على مؤلفات ابن مرزوق، متخذا إياها عمدة في ترجمة الأعلام، ونقل كثير من الأخبار. ولا يُغفل تلك التعليقات المهمة (تعليقات بخط المؤلف نفسه في كتبه أو كتب غيره، أو بخط غيره كتعليقات ابن الخطيب) التي ألفاها على حواشي تلك الكتب، والتي شكلت مادة غنية ذات شأن وقيمة تاريخية.[1]

ومن آثار ابن مرزوق يظهر أيضا من خلال استصحابه لمؤلفاته التي كتبها قبل نزوعه إلى مصر. وكذلك نقله لكتب العلماء المغاربة والأندلسيين إلى المشرق في رحلاته وخاصة في رحلته الأخيرة. والتي استفاد منها العلماء وطلبة العلم بالمشرق. فمن مؤلفاته (برح الخفا في شرح الشفا) شرح لكتاب (الشفا للقاضي عياض) كتبه بخط يده، وقد وقع الكتاب بيد ابن حجر الذي لقي ابن مرزوق الحفيد فأطلع على مؤلف جده ، فسر الحفيد لذلك كثيرا. ومن ذلك نقله لكتاب(الإحاطة في أخبار غرناطة) لابن الخطيب.[2]

1- الدرر الكامنة، ابن حجر، ج4، ص409، 410.
2- المصدر نفسه، ج3، ص362.

يعرف عن ابن مرزوق شدة وفائه لمن لأحب. فتعلقه بأشياخه ومحبته لهم كان محركا أساسا للكتابة قصد التعريف بهم، وجمع سيرهم وأخبارهم، فصنف كتابه (عجالة المستوفز). وخص شيخه بالمدينة المنورة الحسن بن علي الواسطيّ بمؤلف- هو في حكم المفقود- حوى مآثره وجمع في مناقبه. غير أننا لم نجد له ذكرا عند من ترجم لابن مرزوق، خلا ابن حجر الذي أشار إليه في ترجمته للحسن الواسطيّ[1].

وكذلك وضع كتابا جمع فيه مناقب شيخه وشيخ والده الولي الصالح أبي عبد الله المرشديّ وكراماته وأخباره، وقد خلفه وراءه بأرض الحجاز[2].

إذا كان حسن الوصال الذي كان يجمعه بملوك المغرب حافزا للكتابة والتأليف؛ فبعد تأليفه كتاب (المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن)، والذي عرض فيه لتفاصيل الحياة السلطانية بالمغرب الإسلاميّ في العصور الوسطى، ولشخصية السلطان أبي الحسن وعلاقته به. ها هو ذا على موعد بمؤلف آخر، كان مطلعه هذه المرة من المشرق. والدافع لتأليفه أيضا تلك العلاقة المميزة بالسلطان المملوكي الأشرف شعبان، والمكانة التي حظي بها عنده، فهذا العمل من باب رد الجميل، فقد قيده إحسانه، وشمله إنعامه.

ذكر في هذا الكتاب فضائل مصر وخصائصها، افتتحه قائلا:« الحمد لله الذي أحلّني محل أشرف الملوك...»[3]. ويبدو أنه أهداه للسلطان، فعنوان الكتاب(أشرف الطرف للملك الأشرف) يوحي بذلك. ونأسف لأنه من ضمن ما هو في حكم المفقود من تراث ابن مرزوق. وهذا الكتاب يعكس مدى أثر ابن مرزوق في إنعاش الحياة الفكرية بمصر.

من جهة أخرى نجد ابن مرزوق يحمل لقبا لازمه طيلة عمره، وبه انماز. هذا اللقب هو(الخطيب)، وأول ما خُلع عليه هذا اللقب كان بالمشرق، نتيجة الأثر الذي خلفه في نفوس سامعيه، من خلال الخطب التي ألقاها بالإسكندرية وهو ابن تسع عشرة سنة.

1- المصدر السابق، ج2، ص20.

2- المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص482، 483.

3- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الإحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، بدون ط، بدون ت، ج1، ص104.

فأول خطبة مرتجلة ألقاها بزاوية الشيخ أبي عبد الله المرشديّ بناء على طلبه، وذلك بعد وقت يسير من نزوله رفقة والده ضيوفا على الشيخ يوم جمعة. وكان هذا أمام جمع من العلماء والفضلاء والصالحين سنة(730هـ)، الذين تركت هذه الخطبة أثرا في نفوسهم، ونالت إعجاب الشيخ المرشديّ، فقال له مهنئا:« أحسنت يا محمد، وقراك عندنا أن نوليك الخطابة، وأن لا تخطب بخطبة غيرك ما وليت وحييت...فقال لي: يا خطيب، فقلت: يا سيدي عبدك ومملوكك، فقال لي: كن خطيبا، أنت الخطيب. وقال لي: لا بد أن تخطب بالجامع الغربيّ، وهو الجامع الأعظم بالإسكندرية»[1]. ولعل بركة الشيخ المرشديّ أدركته فاستحق لقب الخطيب بامتياز، فقد اعتلى أكثر من ثمانية وأربعين منبرا بالمغرب والأندلس والمشرق[2].

كان الميدان العلميّ شاهدا على الأثر الواضح الذي تركه ابن مرزوق في المشرق العربيّ، وهو يعكس المكانة الكبيرة التي بلغها عند العامة والخاصة. كل هذا جعله مؤهلا ومرشحا لمنصب دينيّ ذي شأن خطير، وهو من أرفع المناصب الدينية، وأرفعها قدرا، وأعظمها رتبة، ألا وهو منصب قاضي المالكية[3].

ولا ندري ما كان موقف ابن مرزوق من هذا المنصب، هل كان على استعداد لقبوله، أم لا؟ أم أن وصية والده-:« يا بني... احذر أن تتولى خطة القضاء»[4]- ستكون حائلا دون قبول منصب القضاء إن هو عرض عليه؟.

1- نفح الطيب، المقريّ، ج5، ص417.

2- نيل الابتهاج، التنبكتيّ، ص453.

3- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج7، ص398.

4- المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص482.

ب-الأثر السياسيّ:

لقد انخرط ابن مرزوق في الحياة العامة والعمل السياسي في سن مبكرة من حياته. فبعد عودته من المشرق إلى تلمسان(737هـ) صادف وقوعها بيدي السلطان أبي الحسن المرينيّ. فما إن وصل ابن مرزوق حتى اتصل بالسلطان عن طريق عمه الذي كان قائما على مسجد العباد والخطابة فيه، تحقيقا لوصية والده، وامتثالا لأمر الشيخ المرشديّ. فما كان من السلطان إلا أن قربه منه وأدناه لمكانة أسلافه وثقلهم الدينيّ لارتباطهم الوثيق بخدمة أبي مدين شعيب.

هذه الصلة أتاحت له أن يقوم بأدوار سياسية في سن مبكرة. وأصبح من رجالات الحكم والإدارة، تقلد عدة مناصب سياسية ووزارية ودبلوماسية، أيام بني مرين. استطاع أن ينال ثقة السلاطين في معالجة كثير من القضايا الخطيرة الداخلية والخارجية، كتلك القضايا العالقة بين الدولة المرينية والدول الأخرى (الصديقة، والعدوة). شارك في التحضير لواقعة طريف بالأندلس، وأسهم في إطلاق سراح ولد السلطان وفكاكه من أيدي القشتاليين، وإبرام معاهدة صلح مع الملك القشتاليّ. وحاول الصلح بين أبي الحسن وأبي سعيد الزيانيّ. وكان موضع ثقة أبي عنان الذي كلفه بخطبة بنت السلطان المتوكل الحفصيّ إلا أنه لم يوفق لأن الأمر كان خارجا عن نطاق صلاحياته، وهو مرتبط بعزوف بنت المتوكل عن الزواج.

ولعل أهم ما قام به من أدوار سياسية أيام بني مرين، تحضيره لتولي السلطان أبي سالم مقاليد الحكم فتم ذلك الأمر، فكافأه السلطان بأن جعله وزيرا بين يديه أسلم إليه كثيرا من المهام والمسؤوليات.

هذه المكانة التي بلغها ابن مرزوق لدى الملوك خدمهم في المشرق والمغرب والأندلس(بفاس وتلمسان وغرناطة وتونس والقاهرة)، راجعة إلى جملة من المواصفات توفرت فيه أهلته لينوء بمهامه السياسية، منها: خلابة اللسان، وحسن الخطاب، وتخير الكلمات، والوصول إلى دسائس النفوس بحكمة، وقراءة صفحات الوجوه، حسن الأدب مع الملوك. وفي هذا يقول ابن الخطيب:« خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة

الملوك والأشراف... يسحرهم بخلابة لفظه، ويفتلهم في الذروة والغارب بتنزله، ويهتدي إلى أغراضهم الكمينة بحذقه، ويصنع غاشيتهم بتلطفه، ممزوج الدعابة بالوقار، والفكاهة بالنسك، والحشمة بالبسط»[1].

أما عن إسهاماته في الحقل السياسيّ بالمشرق فيظهر من خلال علاقة المرينين بدولة المماليك فقط. تلك العلاقة الموسومة بالود والمحبة من أيام السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينيّ والسلطان المنصور قلاوون. ومن أسباب التواصل السياسيّ هو المصالح المشتركة بين الدولتين. تمظهرت في إيفاد السفراء والتعاون العسكريّ، وتبادل المعلومات، والقيام بالوساطات لعقد الصلح بين الدولة المملوكية ودول أوروبا، وتبادل الهدايا، ومهام تتعلق بمناسك الحج. وهذا ما يفسر كثرة السفارات، وعظم الهدايا وكثرتها بين الطرفين.[2]

ويبدو أثر ابن مرزوق السياسيّ بالمشرق، في تلك المهمة التي دعاه إليها عثمان بن جرار (قائد ركب الحجاج إلى مكة) وهما بالحجاز لأداء مناسك الحج للقاء الملك الناصر بمصر(737هـ)، ليستأذنه في مقدم والدة السلطان أبي الحسن لتأدية مناسك الحج. وفي الواقع كانت هذه الوفادة من بنات أفكار عثمان بن جرار، وباجتهاد منه[3]، حين علم بعزم والدة السلطان على الحج بعد فتح مدينة تلمسان مباشرة، ولم تكن الوفادة بإذن السلطان. وقد سأله ابن مرزوق- وهو العارف بالترتيبات الدبلوماسية-:«وهل كتب لك مولانا بشيء، أو خاطبهم فيه؟»، فأوهمه أن قد وقع الأمر. وقد استكتب كتابا باسم السلطان ودفعه إلى الملك الناصر، الذي قابل الوفد بالحفاوة، وكتب رسالة بليغة إلى السلطان أبي الحسن يعلمه فيها بوصول كتابه، واطلاعه على مقدم والدته إلى الحج...[4]

1- الإحاطة، ابن الخطيب، ج3، ص104.

2- التاريخ الدبلوماسيّ للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عبد الهادي التازيّ، مطابع فضالة، المحمدية، 1408هـ/ 1988م، ج7، ص209.

3- بدليل أن السلطان أبا الحسن لما اطلع على تفاصيل القضية، من تزوير للرسائل، والتدليس، لم يعاقب عثمان بن جرار ومن معه. المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص242.

4- المصدر نفسه، ص241، 242.

أما أيام استقراره بمصر فلم نجد في المصادر[1] التي بين أيدنا ما يشير إلى دور سياسيّ هام ومؤثر. فأثره بمصر كان مقصورا على الأثر العلميّ فقط حسب ما أورته المصادر التي وقفنا عليها. ولا ندري أراجع هذا لقناعته بمكاره الحياة السياسية ومكايدها، والتي كانت سببا في نكبته ومحنته وغربته وانقطاعه عن وطنه، وبلدته تلمسان، أم أن الظروف لم تتهيأ على نحو ما التي كانت عليه أيام بني مرين.

يبدو أنه بعد حياة سياسية حافلة بجلائل الأعمال، اختار أن يركن إلى الراحة، والاشتغال بالعمل الثقافيّ(نشر العلوم، ولقاء العلماء...)، والعمل الروحيّ (التفرغ للطاعة والانقطاع للعبادة).

1- كنا ننتظر من ابن خلدون أن يسهب في تفصيل حياة شيخه ابن مرزوق بمصر، وهو الذي حل بعد وفاته بثلاث سنوات، ولكنه ضرب صفحا عن تلك التفاصيل التي نراها مهمة جدا، ومنح لها بضعة أسطر من تاريخه ورحلته فقط. وهذا راجع كما أسلفنا إلى تلك العلاقة المتشنجة التي كانت تجمعه به أيام السلطان أبي سالم.

الخاتمة

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان -
كلية الآداب و اللغات
قسم الأدب العربي

الخـــاتمة:

ومما نخلص إليه من بحثنا حول شخصية ابن مرزوق الخطيب، وأثره في المشرق العربيّ. هو أن الرجل من علماء الجزائر في القرن الثامن الهجريّ. خريج مدارسها، وثمرة جهود علمائها. رحالة أينما حل عرف قدره، وأنزله الناس المنزلة التي تليق به. شد الرحال إلى المشرق لزيارة المراكز الثقافية، وطلب العلم، والحصول على الرواية والسند والإجازات، ولقاء العلماء والصالحين، ومجالستهم. شغوف بتحصيل العلوم ونشرها، بذلك ابتنى شخصيته العلمية. كما أنه انخرط في الحياة السياسية في وقت مبكر من عمره. فقُلّد مناصب سياسية ووزارية ودبلوماسية أيام بني مرين.

ابن مرزوق الخطيب الفقيه ورجل الدولة، يعد أنموذجا لعملية التواصل العلميّ، وبناء جسور العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق العربيّين في القرون الوسطى. فرحلاته الكثيرة إلى العواصم الإسلامية، والتي تعددت أسبابها ودوافعها، تارة لمقصد علمي أو دينيّ، وتارة أخرى مضطرا بسبب قهر السلطان، وتعسف الأمراء، تعكس مدى مساهمته الفعّالة في الحياة الفكرية والعلمية في عصره. كان كالغيث أينما حل نفع، وترك آثارا بها يذكر وعليها يشكر.

وتظهرت آثار ابن مرزوق في المشرق عموما، ومصر على الخصوص في أثرين هامين هما: الأثر العلميّ والدينيّ، والأثر السياسيّ. فالأثر العلميّ يظهر فيه توليته وظائف علمية بأشهر المدارس المملوكية. وهي إحدى قنوات العطاء العلمي لابن مرزوق، فقد درس عليه خلق كثير، وانتفع بعلمه جلة العلماء، سماعا ومشافهة أو عن طريق الإجازات.

ويظهر أيضا من خلال مؤلفاته التي أفاد منها العلماء وطلبة العلم، وكانت رافدا معرفيا في (الفقه، السيرة، العربية، التاريخ...). ففي التاريخ تعد مؤلفات ابن مرزوق مصدرا ومرجعا مهما لكثير من الأحداث التاريخية، وعمدة في ترجمة الأعلام، ونقل كثير من سيرهم وأخبارهم. كما أن علاقاته بمن لقي من العلماء والصالحين والسلاطين بالمشرق كان حافزا على الكتابة والتأليف. كما كان له دور كبير في نقل مؤلفات المغاربة والمشارقة إلى مصر.

ومن أثره الدينيّ الانتصاب للوعظ والإرشاد، فكان فارس منبر بالإسكندرية على الرغم من حداثة سنه. ولمكانة الكبيرة عند العامة والخاصة، كان ضمن المرشحين لمنصب قضاء المالكية. أما عن الأثر السياسيّ، فلم يكن بنفس درجة الأثر العلميّ، غير أنه سجلت له سفارة لدى سلطان مصر.

حياة ابن مرزوق حافلة بالعطاء العلميّ، ينبئ عن رسوخ قدمه في العلم. وحذقه في الحقل السياسيّ يرسم لنا صورة عن الفكر السياسيّ في تلك الفترة، وخاصة علاقة العلماء بعالم السياسة، وكيفية تعاطيهم مع الأحداث والمستجدات. فنزعته الصوفية لم تكن حاجزا بينه وبين المشاركة في هذا المضمار.

من خلال هذه المذكرة تشكلت لدينا بعض الملامح عن شخصية ابن مرزوق المتميّزة، إلا أن هذا التلخيص لمسيرته غير كاف للإلمام بكل التفاصيل. ونحن على علم أننا لم نوف الرجل حقه، ولكن عسى أن يكون هذا الجهد مفتاحا لدراسات مطولة ومعمقة عن تفاصيل أكثر حول فكره وأدبه... ولن يتأتى ذلك إلا بفتح تراث ابن مرزوق، وقراءة آثاره الكتابيّة، المطبوع منها وتحقيق المخطوط، والبحث عن المفقود.

الملحقات

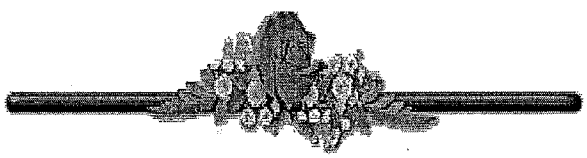

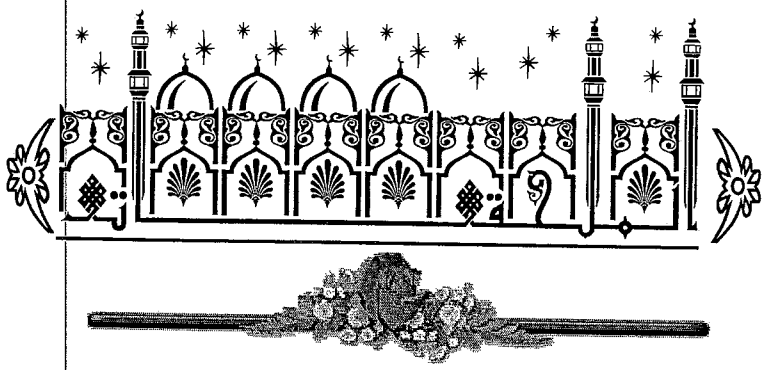

❖ الملحق الأول:

- **تراجم الأعلام**[1]:

❖ المراجل

- **الناصر المرينيّ (638 - 706 هـ):** أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينيّ. من ملوك الدولة المرينية. بويع له سنة (685هـ). قتله أحد خدمه أيام حصاره لتلمسان. الأعلام، خير الدّين الزركليّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م ،ج8، ص258، 259.
- **ابن خميس (650 - 708 هـ):** محمد بن عمر بن محمد الحجريّ الرعينيّ. شاعر، عالم بالعربية. من أعيان تلمسان. كان يكتب عن ملوكها، ثم فر منهم واستقر بغرناطة سنة(703هـ)، وبها توفي بها قتيلا. المصدر نفسه، ج6، ص314.
- **محمّد بن يوسف الثغريّ:** أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغريّ. الفقيه الكاتب العلامة الناظم الناثر الأديب، كاتب السلطان أبي حمّو موسى ابن يوسف الزيانيّ. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم التلمسانيّ، تحقيق: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/ 1908م، ص222، 223.

---

1 - حسب ورودهم في البحث.

• **العبدريّ (...- 700هـ):** محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدريّ، فقيه رحالة مالكيّ، شاعر. كان قاضيا بمراكش. الأعلام، الزّركليّ، ج7، ص32.

• **القلصاديّ(815هـ - 891هـ):** أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشيّ البسطيّ الغرناطيّ. فرضيّ، فقيه مالكيّ. رحل إلى المشرق، وتوفي بباجة تونس. له كتب في الفقه، ومختصرات وشروح في النحو، واللغة، والأدب، والجبر والمقابلة وغير ذلك. المصدر نفسه، ج5، ص10.

• **عبد الرحمن بن خلدون (732هـ- 808هـ):** أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون الحضرميّ الاشبيليّ، الفيلسوف المؤرخ. رحل إلى المغرب والأندلس، وتولى أعمالا. توجه إلى مصر وولي فيها قضاء المالكية، توفي فجأة في القاهرة. اشتهر بكتابه (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر). المصدر نفسه، ج3، ص330.

• **ابنا الإمام:** الأخوان الشقيقان أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا الإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام البرشكيان. رحلا إلى تونس والمشرق. كانت وفاة أبي زيد سنة (743هـ)، وعاش أبو موسى بعده ثمان سنوات وتوفي في الطاعون الجارف سنة (749هـ). البستان، ابن مريم، ص123-127.

• **أبو حمو موسى الأول(665هـ - 718هـ):** أبو حمو بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان. بويع بتلمسان(706 هـ). كان شجاعا حازما صارما. اهتم بالجانب العمرانيّ منها: مسجد المشور. انتهى حكمه نتيجة ثورة ولده الأمير أبا تاشفين عليه عام 718هـ. بغية الرواد، يحيى بن خلدون، ص126-132.

• **أبو تاشفين:(692هـ - 737هـ):** أبوتاشفين عبد الرحمن بن موسى الأول بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن. من سلاطين تلمسان سنة (718هـ). كان أكثر سلاطين هذه الدولة آثارا. قتله أبو الحسن المرينيّ سنة(737هـ). المصدر نفسه، ص132- 142.

• **أبو حمو موسى الثاني(723هـ- 791هـ):** موسى الثاني بن يوسف، أبو يعقوب بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن. عاقل، حازم، وقور مهيب، أديب شاعر. دخل تلمسان 760هـ،

وبويع بها. تاريخ ملوك بني زيان، محمد بن عبد الله التنسيّ، تحقيق: محمد آغا بومدين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2011، ص157- 181.

• **إبراهيم المصموديّ(...-805هـ):** أصله من صنهاجة المغرب. أخذ العلم بفاس وبتلمسان عن الشيخ سعيد العقباني، أعلم أهل وقته بالسّيّر وأخبار السّلف والصّالحين والعلماء، ومن تلاميذه ابن مرزوق الحفيد. البستان، ابن مريم، ص64- 66.

• **أبو الحسن المرينيّ (697هـ - 752هـ):** أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينيّ، أفخم ملوك بني مرين دولة. بويع سنة (731هـ). فتولى الجهاد بنفسه بالأندلس. توفي سنه بعد انقلاب ولده عليه (750هـ). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد بن محمد الناصريّ الدرعيّ الجعفريّ السّلاويّ، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب ، الدار البيضاء، ط1، 1418هـ/1997م، ج3، ص118-177.

• **أبو مدين شعيب (...- 594هـ):** أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسيّ الصوفيّ الزاهد دفين تلمسان صاحب الكرامات كثيرة. أخذ بفاس عن ابن حرزهم. سكن بجاية وكثر أتباعه حتى خافه يعقوب المنصور فأمر بإحضاره، فمات وهو متوجه إليه. البستان، ابن مريم، ص108- 114.

• **أبو عنان المرينيّ (729هـ - 759 هـ):** أبو عنان فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المرينيّ. من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. بويع في حياته سنة (749هـ). كان فارسا شجاعا، فقيها يناظر العلماء، كاتبا بليغا شاعرا، له آثار من مدارس وزوايا. قتله وزيره الحسن بن عمر الفودوديّ. الاستقصا ، السّلاويّ، ج3، ص181- 208.

• **سيدي الحلويّ:** أبو عبد الله الشوذيّ الإشبيليّ نزيل تلمسان، من أكابر العلماء العباد العارفين. سمي بالحلويّ لصنعه الحلواء للصبيان. كان قاضي إشبيلية آخر عهد الموحدين، ثم فر من محنة القضاء إلى تلمسان في زي المجانين، وبها توفي. بغية الرواد، ابن خلدون، ص65- 68.

• **أبو موسى المشدالي(...- 745هـ):** أبو موسى عمران بن موسى المشدالي البجائي الأصل. قرّبه أبو تاشفين الأول. ولى تدريس الحديث والفقه والأصلين والفرائض والمنطق والجدل بتلمسان. المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص268.

• **التنسيّ (..- 899هـ):** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسيّ. مؤرخ فقيه وأديب. أخذ عن ابن مرزوق الحفيد والإمام قاسم العقباني. البستان، ابن مريم، ص 248.

• **يحيى بن خلدون (734هـ- 780 هـ):** أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرميّ، شقيق المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون، مؤرخ. كاتب السلطان أبو حمو. قتل بتلمسان سنة(780هـ). هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغداديّ، وكالة المعارف، إستنبول، تركيا، بدون ط، 1955م، ج2، ص527.

• **الشّريف التلمسانيّ (710 هـ- 771 هـ):** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الإدريسيّ الحسنيّ العلويّ. فارس المعقول والمنقول صاحب الفروع والأصول. قربه أبو حمو الثانيّ، وزوجه ابنته، وبني له مدرسة أقام يدرس فيها إلى أن توفي. البستان، ابن مريم، ص 164 - 184 .

• **محمد بن موسى الثاني (...- 802هـ):** أبو زيان محمد بن موسى الثاني، من سلاطين تلمسان. بويع بها في صفر(796هـ). انتزع السلطنة منه أخوه عبد الله بدعم من أبي سعيد المرينيّ. مات مقتولا. تاريخ الدولة الزيانية، ابن الأحمر، تحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ/2001م، ص83.

• **القاضي عياض (476هـ - 544هـ):** أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبيّ السبتيّ. عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. ولي قضاء سبتة وغرناطة. توفي بمراكش مسموما، قيل سمه يهودي. له:(الشفا بتعريف حقوق المصطفى). الأعلام، الزركليّ، ج5، ص99.

❖ الفصل الأول

• **ابن الخطيب (713هـ - 776 هـ):** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطيّ. وزير مؤرخ أديب نبيل. استوزره يوسف بن إسماعيل سنة (733هـ)، ومن بعده ابنه. لجأ إلى المغرب، اتهم بالزندقة، ومات مقتولا بسجنه بفاس. المصدر السابق، ج6، ص 235.

• **المقريّ (992هـ - 1041 هـ):** أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، المقريّ التلمسانيّ. المؤرخ الأديب الحافظ. انتقل إلى فاس، فكان خطيبها والقاضي بها. رحل إلى المشرق. توفي بمصر ودفن في مقبرة المجاورين. المصدر نفسه، ج1، ص237، 238.

• **عبد الرحمن بن علي:** أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الدكاليّ الصنهاجيّ، من شيوخ ابن مرزوق الخطيب، والمقري الجد، كان قاضيا. نفح الطيب، المقريّ، ج5، ص242.

• **ابن هدية (...- 736 هـ):** أبو عبد الله محمد بن منصور بن على بن هدية القرشيّ التلمسانيّ. أديب، من القضاة، كان من الكتاب البلغاء. الأعلام، الزركليّ، ج7، ص112.

• **الآبليّ (681هـ- 757هـ):** أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدريّ التلمسانيّ. شيخ المغرب في العلوم العقلية وإمام وقته. رحل إلى المشرق ولقي العلماء. توفي بفاس. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/ 1980م، ص12.

• **السطيّ(...- 749هـ):** أبو عبد الله محمد بن علي بن سليمان السطيّ، الفقيه الفرضيّ الحافظ، المفتي والخطيب في بعض الأوقات. مات غريقا مع من غرق من الفضلاء بأسطول السلطان أبي الحسن. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ابن القاضي المكناسيّ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، بدون ط، 1973، ص228، 229.

• **الجزوليّ(...- 758هـ):** محمد بن عبد الرزاق الجزوليّ، فقيه وقاض وراوية. نشأ بفاس وأخذ عن مشيختها. ولي قضاء فاس للسلطان أبي الحسن المرينيّ ثم عزل. توفي بفاس. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، مُنشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1389هـ/ 1989م، ص419.

• **المشذّالي(632هـ- 731هـ):** أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذّالي الزواويّ البجاويّ. أخذ عن الشيوخ ثم رحل إلى مصر. نبغ ورجع بعلوم جمة من الأصول والفقه والأدب والكلام والتصوف. المصدر السابق، ص 609، 610.

• **ابن عبد السلام (676هـ - 749 هـ):** أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواريّ . فقيه مالكي. ولي القضاء بتونس سنة (734هـ)، واستمر إلى أن توفي بالطاعون الجارف. وكان لا يرعى في الحق سلطانا ولا أميرا. الأعلام، للزركليّ، ج6، ص205.

• **محمد بن حسن القرشيّ(...- 740هـ):** أبو عبد الله محمد بن حسن بن عبد الله القرشيّ. العالم الصالح الزاهد النسابة. نيل الابتهاج، التنبكتيّ، ص396.

• **الحسن بن علي الواسطيّ(654هـ- 741هـ):** أبو محمد عز الدين الحسن بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم الواسطيّ. ولد ببغداد ونشأ بواسط وقرأ القراءات وقدم مصر سنة (691هـ). حج مرات وناب في الإمامة بالمسجد النبويّ. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلانيّ، تحقيق: عدنان درويش، دار الجيل، بيروت، بدون ط، 1414هـ/ 1993م، ج2، ص20.

• **جمال الدين الخزرجيّ (671هـ - 741هـ):** أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن خلف الخزرجيّ الأنصاريّ السعديّ المدنيّ المطريّ، نسبته إلى المطرية (بمصر). فاضل، عارف بالحديث والفقه والتاريخ. من أهل المدينة المنورة ولي نيابة القضاء فيها. الأعلام، الزركليّ، ج5، ص325.

• **الحَجّيّ(740هـ-641هـ):** أبو عبد الله عيسى بن عبد الله بن عبد العزيز بن عيسى بن محمد بن عمران الفارسيّ. المعروف بالحجي المكي ولد بمكة. سمع منه جماعة من الأكابر ومات في المحرم بوادي نخلة من عمل مكة. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين محمد بن أحمد الحسنيّ الفاسيّ المكيّ، تحقيق: فؤاد سيّد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ/ 1985م، ج6، ص459- 461.

• **القونويّ (668هـ - 729 هـ):** أبو الحسن علاء الدين علي بن إسماعيل بن يوسف القونويّ فقيه شافعيّ، ولد بقونية. نزل بدمشق سنة (693هـ). وانتقل إلى القاهرة، فتصوف، وتلقى علوم الأدب الفقه. ولي قضاء الشام سنة (727هـ). الأعلام، الزركليّ، ج4، ص264.

• **ابن جماعة (639 - 733 هـ):** أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانيّ الحمويّ الشافعيّ. من خيار القضاة، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد في حماة. ولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فالشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي. توفي بمصر. المصدر نفسه، ج5، ص297.

• **الجعبريّ (640هـ - 732 هـ):** أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ. عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية. ولد بقلعة جعبر على الفرات. تعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل (في فلسطين) إلى أن مات. المصدر نفسه، ج1، ص91.

• **الفزاريّ (660هـ - 729 هـ):** أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاريّ المصريّ الدمشقيّ، المعروف بابن الفركاح. من كبار الشافعية. من بيت علم، عرض عليه قضاء قضاة الشام فأبى. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، يوسف بن تغرى برديّ، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون ط، 1984م، ج1، ص99.

• **الوادي آشي:** أبو عبد الله شمس الدين الوادي القيسيّ آشيّ شاعر أندلسيّ، رحالة، عالم بالحديث. أصله من وادي آش. مولده ووفاته بتونس. الأعلام، الزركليّ، ج6، ص68.

• **ابن أبي حجلة(725هـ- 776هـ):** أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمسانيّ. عالم بالأدب شاعر. سكن دمشق، ولي مشيخة الصوفية بالقاهرة، مات بالطاعون، له أكثر من ثمانين مصنفا، منها (ديوان الصبابة). المصدرالسابق، ج1، ص268، 269.

• **ابن مرزوق الحفيد (766هـ - 842 هـ):** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، ابن مرزوق العجيسيّ التلمسانيّ، المعروف بالحفيد. عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب. ولد ومات في تلمسان، ورحل إلى الحجاز والمشرق. المصدر نفسه، ج5، ص331.

• **ابن قنفذ (740هـ - 810هـ):** أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، القسنطينيّ. باحث، له علم بالتراجم والحديث والفلك والفرائض. ولي القضاء، ورحل إلى المغرب الأقصى فأقام ثمانية عشر عاما. المصدر نفسه، ج1، ص117.

• **ابن زمرك (733هـ- 793هـ):** أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحيّ. وزير من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس. ترقى في الأعمال الكتابية إلى أن جعله صاحب غرناطة (الغني بالله) كاتم سره. توفي قتيلا من لدن السلطان نفسه. المصدر نفسه، ج8، ص29.

• **الجماعيليّ (541هـ- 600 هـ):** أبو محمد تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيليّ الدمشقيّ الحنبليّ، حافظ للحديث. ولد في جماعيل (قرب نابلس) وانتقل صغيرا إلى دمشق، وتوفي بمصر. المصدر نفسه، ج4، ص34.

• **عبد الحق الإشبيليّ(510هـ- 581هـ):**عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزديّ الإشبيليّ، المعروف بابن الخراط. فقيه حافظ عالم بالحديث وعلله ورجاله، مشاركا في الأدب وقول الشعر. أصابته محنة فتوفي على أثرها في بجاية. المصدر نفسه، ج3، ص 281.

• **أبو الحجاج النصريّ (718هـ- 755هـ):** أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصريّ. سابع ملوك بني نصر. بويع بغرناطة بعد مقتل أخيه محمد سنة (733هـ). قام بأعباء الملك، وباشر بعض الحروب بنفسه، إلى أن قتل ساجدا. المصدر نفسه، ج8، ص217.

• **أبو سالم المرينيّ(... - 762هـ):** أبو سالم إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب المرينيّ، من ملوك بني مرين. بويع سنة (760هـ) بعد عودته من الأندلس. ثار عليه وزيره عمر الفودوي وأمر بقتله فقتل وحمل إليه رأسه. المصدر نفسه، ج1 ص52.

• **إبراهيم الحفصيّ (... - 770هـ):** أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن يحيى الحفصيّ. من ملوك الحفصيين بتونس. وليها سنة(751هـ) وهو غلام. قام بأمره أبو محمد بن تافراجين (وكان حاجبا لوالده) وطال عهده والفتن محيطة به إلى أن توفي فجأة. المصدر نفسه، ج1، ص34.

• **أحمد الحفصيّ (...- 796هـ):** أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصيّ. من كبراء ملوك الحفصيين بتونس. تولى السلطنة سنة (772هـ) بعد أن خلع السلطان خالد بن إبراهيم. قمع الفتن، واستعاد البلاد من المتغلبين، واستمر إلى أن توفي بتونس. كان عادلا حازما شجاعا، من مفاخر الحفصيين. المصدر السابق، ج1، ص111.

• **الملك الأشرف الثاني(754هـ - 778هـ):** أبو المعالي ناصر الدين شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون. من ملوك الدولة القلاوونية. ولي السلطنة سنة(764هـ)، انتظمت له شؤون الدولة إلى أن ثار عليه مماليكه فقبضوا عليه وقتلوه سنة(778هـ). كان ملكا هينا لينا، منقادا للشريعة، يحب أهل العلم. المصدر نفسه، ج3، ص163، 164.

• **عبد الرحمن بن القاسم (132هـ - 191 هـ):** أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقيّ المصريّ، ويعرف بابن القاسم. فقيه، جمع بين الزهد والعلم. وتفقه بالإمام مالك ونظرائه. مولده ووفاته بمصر. المصدر نفسه، ج3، ص323.

• **أشهب القيسيّ (145هـ - 204 هـ):** أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسيّ العامريّ الجعديّ. فقيه الديار المصرية في عصره. كان صاحب الإمام مالك. قال الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه. المصدر نفسه، ج1، ص333.

❖ الفصل الثاني

• **الملك الناصر (736هـ- 762هـ):** أبو المحاسن حسن بن محمد بن قلاوون. من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع صغيرا سنة(748هـ)، ثم خلع وسجن. ثم بويع سنة(755هـ)، فقبض على زمام الأمور بحزم إلى أن قتل مخنوقا. المصدر السابق، ج2، ص216.

• **ابن تيمية (661هـ- 728هـ):** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانيّ الدمشقيّ الحنبليّ. كان كثير البحث في فنون الحكمة، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. برع في العلم والتفسير، أفتى ودرس وهو دون العشرين. سجن عدة مرات بسبب آرائه واجتهاداته. مات معتقلا بقلعة دمشق. المصدر نفسه، ج1، ص144.

• **أبو عبد الله التلمسانيّ(...- 759هـ):** محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشيّ. برّز في العربية والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث والأخبار والتاريخ والآداب، والجدل والمنطق، ويكتب ويشعر شرّق وحج، ولقي الأجلاء، ثم عاد إلى وطنه، وانقطع لخدمة العلم. تولى قضاء فاس. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط2، 1399هـ/ 1979م، ج1، ص21.

• **يحيى بن محمد الأصبحيّ(743هـ- 789هـ):** يحيى بن محمد بن عبد الرحمن الأصبحيّ. كان ماهرا في العربية والشعر. سمع صحيح من ابن مرزوق الجد. قدم حاجا سنة(789هـ)، ومات راجعا من الحج في ذي الحجة من هذه السنة. المصدر نفسه، ج2، ص343.

• **حسين بن علي(755هـ- 838هـ):** أبو علي حسين بن علي بن سبع البدر والشرف البوصيريّ القاهريّ المالكيّ. حفظ القرآن والعمدة وابن الحاجب الفرعي والرسالة لابن أبي زيد، أخذ عن كثير من العلماء منهم: ابن مرزوق. حدث وسمع منه الأعيان. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن محمد السخاويّ، دار الجيل، بيروت، بدون ط، بدون ت، ج3، ص150.

• **ابن ظهيرة(751هـ- 817هـ):** جمال الدين أبو حامد محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشيّ، المكيّ الشافعيّ. رحل إلى مصر والشام، وأخذ عن العلماء بها. تحصّل على الإجازات. درس مختلف الفنون بمكة أربعين سنة، تولى القضاء والخطابة والحسبة بها. كان ذا حظ عظيم من الخير والعبادة والعفاف والصيانة، والجود. إنباء الغمر، ابن حجر، ج7، ص157- 159.

• **ابن حجر العسقلاني (773هـ- 852هـ):** أبو الفضل، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ، حافظ الإسلام في عصره، من أئمة العلم والتاريخ. وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر، منها (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، (فتح الباري في شرح صحيح البخاري). الأعلام، الزركليّ، ج1، ص178.

• **المرشديّ(...- 737هـ):** محمد بن عبد الله بن أبي المجد إبراهيم المرشديّ، كان يقيم بزاوية فوّة بقرية مرشد من قرى الوجه البحريّ بمصر قرب الإسكندريّة. وكان يخدم الواردين بنفسه وكان كثير الإنفاق، وكانت تربطه علاقات قويّة مع الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن مرزوق وابنه الخطيب. الدرر الكامنة، ابن حجر، ج3، ص 462.

• **المتوكل الحفصيّ (692هـ - 747 هـ):** أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم الحفصيّ، المتوكل على الله، من ملوك الحفصيّين. كان شجاعا حازما. ولي قسنطينة لأخيه خالد، ثم انتقض عليه. ثار عليه آخرون، فلم تصف له الخلافة إلا عام 730 هـ. الأعلام، الزّركليّ، ج2، ص71.

• **المنصور قلاوون (620هـ - 689هـ):** أبو المعالي سيف الدين قلاوون العلائيّ الصالحيّ النجميّ. السلطان الملك المنصور، أول ملوك الدولة القلاوونية. تولى السلطنة سنة(678هـ). كان من أجل ملوك المماليك قدرا ومن أكثرهم آثارا، شجاعا، كثير الفتوحات، أبطل بعض المظالم. المصدر نفسه، ج5، ص203.

• **عثمان بن جرار(...- 749هـ):** عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار بن يعلى بن يندوكس. سجنه السلطان أبو تاشفين لتطاوله للرياسة، فر من محبسه ولحق ب السلطان عثمان بن يعقوب المرينيّ فأكرمه. كان قائد الركب إلى مكة أيامه، وأيام أبي الحسن. دعا لنفسه بتلمسان بعد نكبة أبي الحسن بالقيروان. أودعه أبو سعيد عثمان الزيانيّ السجن إلى أن مات في رمضان . تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج7، ص114-116.

❖ الملحق الثاني:

- تصميم لمدرسة العباد[1]

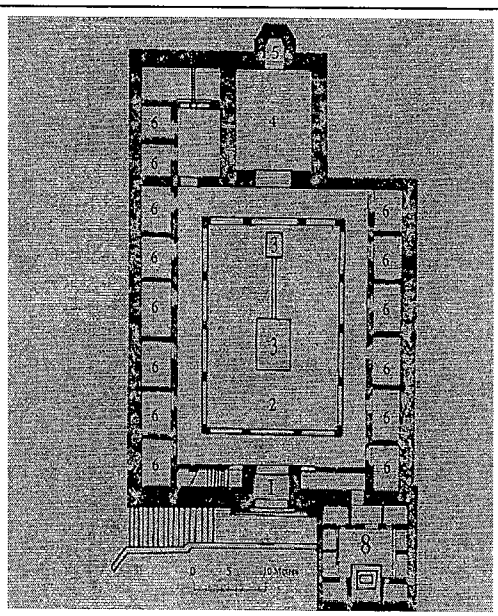

1- باب الدخول
2- الصحن
3- حوضان للوضوء
4- قاعة الدروس والصلاة
5- المحراب
6- بيوت للسكنى
7- مدرج للصعود إلى الطبقة العليا
8- المراحيض

1 - باق السوسان، شاوش، ج1، ص258

❖ الملحق الثالث:

• صورة لضريح ابن مرزوق الخطيب:

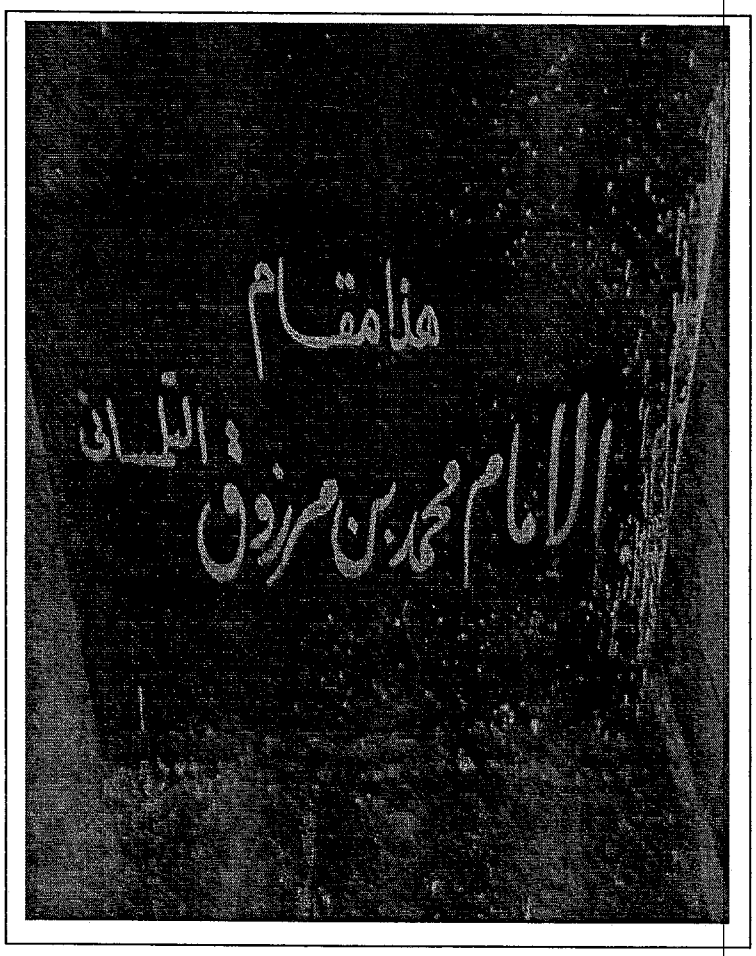

الفهارس

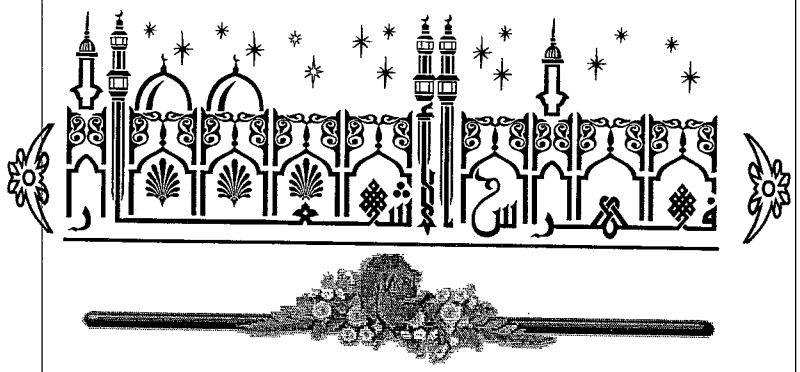

الباء

تَاهَتْ تِلِمْسَانُ بِحُسْنِ شَبَابِهَا ❁ وَبَدَا طِرَازُ الْحُسْنِ فِي جِلْبَابِهَا

الراء

أَيَا ذَا سِيمَ السَّحَرِ ❁ بِاللهِ بَلِّغْ خَبَرِ

الزاي

أَجَزْتُ السَّائِلَ الأَرْضَى المُجَازَا ❁ جَلَالَ الدِّينِ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَازَا

الحاء

يَا قَادِماً وَافَى بِكُلِّ نَجَاحِ ❁ أَبْشِرْ بِمَا تَلْقَاهُ مِنْ أَفْرَاحِ

تِلِمْسَانُ جَادَتْكَ السَّحَائِبُ الرَّوَائِحُ ❁ وَأَرْسَتَ بَوَادِيكِ الرِّيَاحُ اللَّوَاقِحُ

❖ القاف

العَالِمِ الحَبْرِ وَالشَّيْخِ الْجَلِيلِ وَمَنْ ❁ يُوَافِقُ الرَّأْيُ مِنْهُ حُسْنَ تَوْفِيقِ

❖ اللام

أُوَدِّعُكُمْ وَأُثْنِي ثُمَّ أُثْنِي ❁ عَلَى مَلِكٍ تَطَاوَلَ بِالْجَمِيلِ

❖ الميم

رَفَعْتُ أُمُورِي لِبَارِي النَّسَمِ ❁ وَمُوجِدُنَا بَعْدَ سَبْقِ الْعَدَمِ

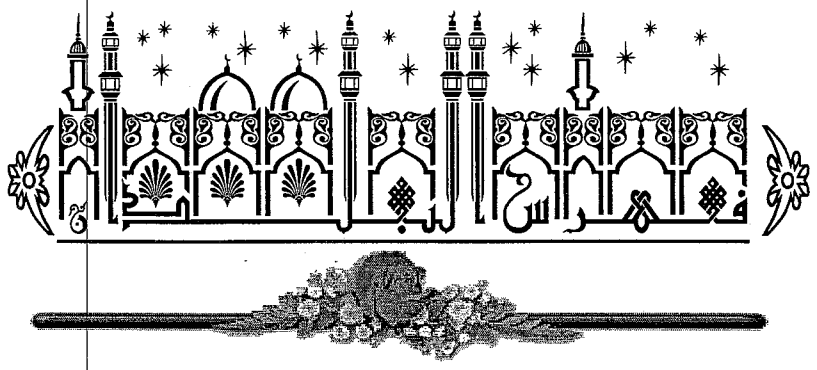

- الإسكندرية
- الأندلس
- بجاية
- بيت المقدس
- تونس
- تلمسان
- دمشق
- فاس

❖ القاف

- القاهرة
- قشتالة
- القيروان

❖ الهاء

- المدينة المنورة
- المسيلة
- مصر
- مكة المكرمة

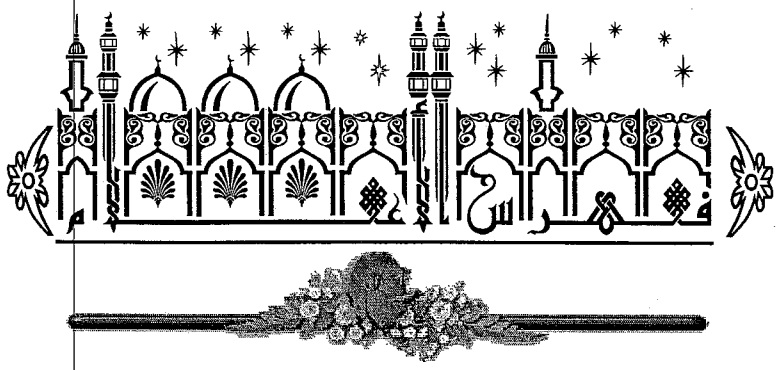

الهمزة

- الآبلي (681هـ- 757هـ): أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدريّ التلمسانيّ.
- إبراهيم الحفصيّ (... - 770 هـ): أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن يحيى الحفصيّ.
- إبراهيم المصموديّ(...- 804 أو 805هـ).
- أحمد الحفصيّ (...- 796 هـ): أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصيّ.
- الأشرف الثاني(754هـ - 778 هـ): أبو المعالي ناصر الدين شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون.
- أشهب (145هـ - 204 هـ): أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسيّ العامريّ الجعديّ.

الباء

- أبو تاشفين:(692هـ - 737هـ): عبد الرحمن بن موسى الأول بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن.
- التنسيّ: (..- 899 هـ): أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسيّ.

- ابن تيمية (661هـ - 728 هـ): أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانيّ الدمشقيّ الحنبليّ.

❖ الجيم

- الخزرجيّ (671 - 741 هـ): أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن خلف الخزرجيّ الأنصاريّ السعديّ المدنيّ المطريّ.
- الجزوليّ(...- 758هـ): محمد بن عبد الرزاق الجزوليّ.
- الجعبريّ (640هـ - 732 هـ): أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ.
- ابن جماعة (639 - 733 هـ): أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانيّ الحمويّ الشافعيّ.
- الجماعيليّ (541 - 600 هـ): أبو محمد تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيليّ الدمشقيّ الحنبليّ.

❖ الحاء

- أبو الحجاج النصريّ (718هـ - 755 هـ): أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل الأنصاريّ الخزرجيّ النصريّ.
- ابن حجر العسقلاني (773هـ-852 هـ): أبو الفضل، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ.
- الحَجّيّ(740هـ-641هـ): أبو عبد الله عيسى بن عبد الله بن عبد العزيز بن عيسى بن محمد بن عمران الفارسيّ.

- أبو الحسن المرينيّ (697 - 752 هـ): أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينيّ.
- حسين بن علي(755هـ- 838هـ): أبو علي حسين بن علي بن سبع البدر والشرف البوصيريّ القاهريّ المالكيّ
- الحلويّ: أبو عبد الله الشوذيّ الإشبيليّ.
- أبو حمو موسى الأول(665هـ- 718هـ). : عثمان بن يغمراسن بن زيان
- أبو حمو موسى الثاني(723هـ- 791هـ): أبو يعقوب بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن.

❖

- ابن الخطيب (713هـ- 776هـ) : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطيّ الأندلسيّ.
- ابن خلدون (732هـ- 808هـ): أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون .
- ابن خميس (650هـ- 708هـ): أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد الحجريّ الرعينيّ التلمسانيّ.

❖

- ابن زمرك (733هـ- 793هـ): أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحيّ.

❖

- أبو سالم المرينيّ(... - 762هـ): أبو سالم إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب المرينيّ.
- السطيّ(...- 749هـ): أبو عبد الله محمد بن علي بن سليمان السطيّ.

❖ السين

- الشّريف التلمسانيّ (710 هـ- 771 هـ): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الإدريسيّ الحسنيّ العلويّ.

❖ الظاء

- ابن ظهيرة(751هـ- 817هـ): جمال الدين أبو حامد محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشيّ المكيّ الشافعيّ.

❖ العين

- العبدريّ (ت نحو 700هـ): محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود أبو عبد الله العبدريّ.
- عبد الحق الإشبيليّ(510هـ- 581هـ):عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزديّ الإشبيليّ.
- أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن يعقوب بن علي الدكاليّ الصنهاجيّ.
- عبد الرحمن بن القاسم (132هـ- 191هـ): أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد المصريّ.
- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام البرشكيّ.
- ابن عبد السلام (676هـ- 749هـ): أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواريّ.
- أبو عبد الله التلمسانيّ(... - 759هـ): محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشيّ.
- عثمان بن جرار(...- 749هـ): عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار بن يعلى بن يندوكس.

- أبو عنان المرينيّ (729هـ - 759 هـ): أبو عنان فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المرينيّ.
- القاضي عياض (476هـ- 544 هـ): أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبيّ السبتيّ.
- أبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام البرشكيّ.

❖ الفاء

- الفزاريّ (660هـ- 729هـ): أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاريّ المصريّ الدمشقيّ.

❖ القاف

- المنصور قلاوون (620هـ- 689هـ): أبو المعالي سيف الدين قلاوون العلائيّ الصالحيّ النجميّ.
- القلصاديّ (815هـ- 891هـ): أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشيّ البسطيّ.
- ابن قنفذ (740هـ- 810هـ): أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطينيّ.
- القونويّ (668هـ- 729هـ): أبو الحسن علاء الدين علي بن إسماعيل بن يوسف القونويّ.

❖ الميم

- محمد بن حسن القرشيّ(...- 740هـ): أبو عبد الله محمد بن حسن بن عبد الله القرشيّ الزبيديّ .
- محمد بن موسى الثاني (...- 802هـ): أبو زيان محمد بن موسى الثاني.
- محمّد بن يوسف الثغريّ.
- أبو مدين شعيب (...- 594هـ): أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسيّ.
- ابن مرزوق الحفيد (766هـ - 842هـ): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، ابن مرزوق العجيسيّ التلمسانيّ.
- المشذاليّ(.../745هـ): أبو موسى عمران بن موسى المشداليّ البجائيّ.
- المشذّالي(632هـ- 731هـ): أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذّالي الزواويّ البجاويّ.
- المقريّ (992هـ - 1041هـ): أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، المقريّ التلمسانيّ.

❖ النون

- الناصر القلاووني (736هـ- 762 هـ): أبو المحاسن حسن بن محمد بن قلاوون.
- الناصر المريني (638هـ- 706هـ): أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينيّ.

❖ الهاء

- ابن هدية (...- 736هـ): أبو عبد الله محمد بن منصور بن على بن هدية القرشيّ التلمسانيّ.

الواو

- الوادي آشيّ: أبو عبد الله شمس الدين الواديّ القيسي آشيّ.
- الواسطيّ(654هـ- 741هـ): أبو محمد عز الدين الحسن بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم الواسطيّ.

الياء

- يحيى بن خلدون (734هـ- 780هـ): أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون الحضرميّ.

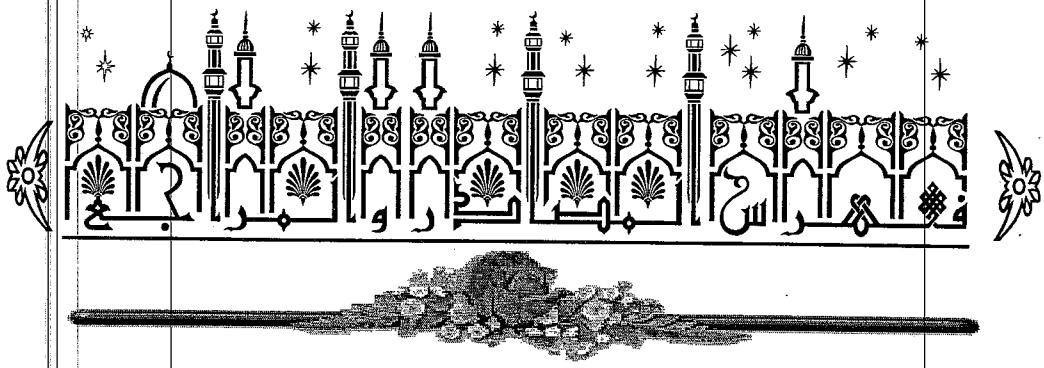

- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب،تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1394هـ/ 1974م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد بن محمد الناصريّ الدرعيّ الجعفريّ السّلاويّ، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب ، الدار البيضاء، ط1، 1418هـ/1997م
- الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدّين الزركليّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.
- الإفادات والإنشادات، أبو إسحاق الشاطبيّ، تحقيق: محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة، بدون ط، بدون ت.
- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ابن حجر العسقلانيّ، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط2، 1406هـ /1986م.

- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.

• بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، يحي بن خلدون،ت: ألفرد بال، الجزائر، بدون ط، 1911م- 1913م.
• البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم التلمسانيّ، تحقيق: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/ 1908م.

❖ الباء

• تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، أ.د: صالح بن قرية، د: سامية بوعمران، د:خالف محمد نجيب، منشورات المركز الوطنيّ للدراسات والبحث في الحركة الوطنيّة وثورة أوّل نوفمبر 1954، الجزائر، ط1، 2007م.
• تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، محمد بن إبراهيم الزركشيّ، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، بدون ط، 1966.
• تاريخ الدولة الزيانية، ابن الأحمر، تحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ/2001م.
• تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ط4.
• تاريخ ملوك بني زيان(مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان)، محمد بن عبد الله التنسيّ، تحقيق: محمد آغا بومدين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2011.

❖ الجيم

• جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،أحمد ابن القاضي المكناسيّ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط، المغرب،بدون ط، 1973.

• حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطيّ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1387 هـ / 1967م.

• خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق، مكتبة النوريّ، دمشق، ط3، 1403هـ/ 1983م.

• دراسات في تاريخ القدس الثقافيّ في العصر الوسيط، د: حاتم محمد محاميد، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، الأردن، ط1، 2009.
• الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عدنان درويش، دار الجيل، بيروت، بدون ط، 1414هـ/ 1993م.
• الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكيّ، تحقيق: محمد الأحمديّ أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون ط، دون ت.
• ديوان ابن أبي حجلة ، تحقيق: مجاهد مصطفى بهجت ،كنوز للنشر والتوزيع ، الجزائر، بدون ط، 2011 .

• رحلة العبدريّ، العبدريّ، تحقيق: علي إبراهيم كرديّ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1426هـ/ 2005م.
• رحلة القلصاديّ، أبو الحسن علي القلصاديّ الأندلسيّ، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.

• الرّوض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحميريّ، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط1، 1980م.

❖ الضاد

• الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن محمد السخاويّ، دار الجيل، بيروت، بدون ط، بدون ت.

❖ العين

• العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين محمد بن أحمد الحسنيّ الفاسيّ المكيّ، تحقيق: فؤاد سيّد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ/ 1985م.

❖ الفاء

• فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتانيّ، اعتناء: د: إحسان عباس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط2، 1402هـ/ 1982م.

❖ اللام

• كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الإحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، بدون ط، بدون ت.

• مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرّازيّ، تحقيق: محمود خاطر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2001م.

• المسند الصحيح الحسن، في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، محمد بن مرزوق التلمسانيّ، تحقيق: د: ماريا خيسوس بغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

• معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/ 1980م.

• مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1428هـ- 1429هـ/2007م.

• المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، يوسف بن تغرى برديّ، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون ط، 1984م.

• موجز في تاريخ الجزائر، عمورة عمار، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002.

• المناقب المرزوقية، أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانيّ، تحقيق: سلوى الزهراوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1429هـ/2008م.

• نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب: أحمد بن محمد المقّريّ التّلمسانيّ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1408هـ /1988م.

• نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتيّ، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1389هـ/ 1989م.

• هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغداديّ، وكالة المعارف، إستنبول، تركيا، بدون ط، 1955م.

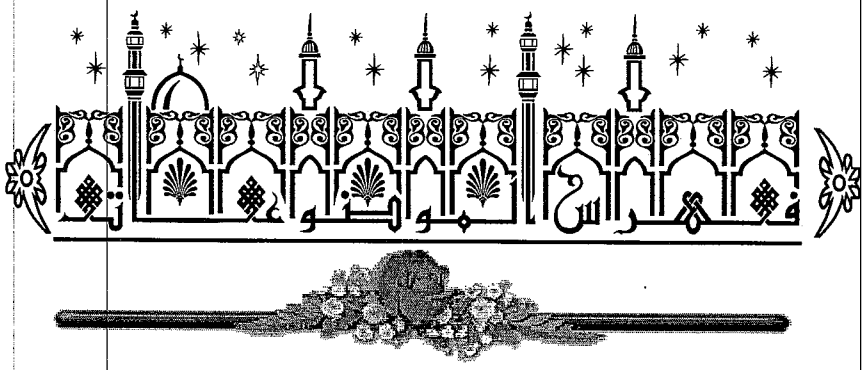

الرقم	الموضوع	الصفحة
1.	المقدمة	أ- ث
2.	المدخل	1- 8
3.	الفصل الأول: حياة ابن مرزوق	9- 17
4.	الفصل الثاني: أثر ابن مرزوق في المشرق العربيّ	18- 29
5.	الخاتمة	30- 31
6.	الملحقات	32- 45
7.	فهرس الأشعار	46- 47
8.	فهرس البلدان	48- 49
9.	فهرس الأعلام	50- 56
10.	فهرس المصادر والمراجع	57- 62
11.	فهرس الموضوعات	63